وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
كلية: العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية - تاريخ

محاضرات في مادة :

المقاومة السياسية وبوادر الحركة الوطنية مطلع القرن 20 م.

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر (السداسي الثاني).
تخصص: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

- إعداد الدكتور:

مسعود عوادي.

أستاذ محاضر قسم أ (تاريخ حديث ومعاصر)

السنة الجامعية: 2025 - 2026

– التعريف بالوحدة والمادة:

– **عنوان الماستر**: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية.

– **السداسي**: الثاني

– **اسم الوحدة**: وحدة التعليم الأساسية

– **اسم المادة**: المقاومة السياسية وبوادر الحركة الوطنية مطلع القرن 20م.

– **الرصيد**: 04

– **المعامل**: 02

– **الحجم الساعي والتكويني**:

المحاضرة: ساعة و30 دقيقة

أعمال توجيهية: ساعة و30 دقيقة

الحجم الساعي للسداسي: 45 ساعة

– **أهداف التعليم**: معرفة الظروف التي ساهمت في الانتقال إلى العمل السياسي مع مطلع القرن العشرين، وبداية التسلّح بالأدوات الثقافية، والانخراط في الهياكل التنظيمية العصرية لمواجهة الاستعمار.

– **المعارف المسبقة المطلوبة**: فكرة عن حالة الركود العام الذي ميّز وضع الجزائريين في نهاية القرن التاسع عشر، وأسلوب المقاومة المتبع.

تقديم

تعالج هذه المادة (المقاومة السياسية وبوادر الحركة الوطنية) مرحلة مفصلية في تاريخ نضال الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وقفزة نوعية من حيث زخم النضال وأسلوبه. وهي استمرارية لنضال طويل منذ بداية الاحتلال الذي كان قد اتخذ شكل المقاومة الشعبية المسلّحة ثم مرحلة نضال خافت في شكل مقاومة ثقافية، لينبعث النضال من جديد مطلع القرن الجديد بأسلوب جديد، وزخم قوي سيساهم في بلورة الوعي الوطني، وفي تشكّل الحركة الوطنية الجزائرية، التي ستساهم في التمهيد للثورة الجزائرية واسترجاع السيادة الوطنية.

تعتبر دراسة وفهم جذور وبدايات الحركة الوطنية ضرورة بالغة الأهمية بالنسبة للطالب حتى يستوعب تاريخ الجزائر المعاصر، لما كان لها من دور أساسي في رسم مسار النضال الوطني في شكله الجديد، وفي ميلاد نواه العمل الثوري التحرري الذي أنهى زمن الهيمنة الاستعمارية والسياسة الاستيطانية على أرض الجزائر، ومقوّمات شعبها. وحتى تكون للطالب نظرة عن تشكّل تيارات الحركة الوطنية، وتوجّهاتها وإيديولوجياتها التي حتى وإن اختلفت وتباين فإنها كلها كانت تصب في مسار النهوض بالشعب الجزائري وتخليصه من قيود المحتل وسياساته.

ومن أجل الإلمام بمواضيع المادة، وإعطاء الطالب نظرة شاملة ومتسلسلة عن هذه المرحلة المحورية في تاريخ الجزائر، وتتبع جذور الوعي السياسي، وتبلوره حتى بلغ مرحلة تشكل تيارات وأحزاب الحركة الوطنية، خصّصت المحور الأول لجذور النضال الوطني في شكله السياسي منذ السنوات الأولى للاحتلال تحت عنوان "**مظاهر النشاط السياسي بالجزائر خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي**" الذي عرضت فيه محاولات نخبة الجزائر وأعيانها صد الاحتلال من خلال تحرّك شبه سياسي من خلال تقديم العرائض والاحتجاجات وإرسال وفود ورسائل لسلطات الاحتلال وللشخصيات السياسية والعسكرية بباريس.

أما المحور الثاني المعنون بـ " **أفول المقاومات الشعبية المسلحة وتنامي سياسة التسلط الاستعماري خلال النصف الثاني من القرن 19م**" فعرضت فيه مرحلة ما بعد المقاومات الشعبية الجزائرية المسلّحة، وما تلاه من سياسات استعمارية قمعية وزجرية، ومحاولات لاجتثاث المجتمع الجزائري من أرضه، عبر إبادته، وتهجيره، وتجويعه، وتركه للأوبئة والمجاعات لتفتك به، ومحاولة محو هويته والقضاء على أحواله الشخصية عبر محاربة لغته ودينه، والعمل على تجنيسه ودمجه.

وتطرّقت في المحور الثالث "**ردود الفعل الجزائرية تجاه سياسة التعسف الاستعماري ولجنة التقصي البرلمانية**" إلى رد فعل الشعب الجزائري ونخبه على السياسات الاستعمارية، التي جعلت الجزائر على صفيح ساخن، فسارعت فرنسا إلى محاولة امتصاص هذا الغضب الجماهيري، وأرسلت لجنة برلمانية لتقصي الوضع في الجزائر، وعرضت ظروف تشكيل هذه اللجنة، وقدومها إلى الجزائر، وتقاريرها، وتوصياتها، وورود فعل النخب الجزائرية تجاهها، ورد فعل المستوطنين، وإدارة الاحتلال في الجزائر. ثم تناولت في المحور الرابع، موضوع " **بوادر يقظة فكرية في الجزائر مطلع القرن العشرين (حركية صحفية وجمعوية)**"العوامل التي ساهمت في ظهور ملامح يقظة فكرية وثقافية أواخر القرن التاسع عشر، والتي وإن كانت محتشمة إلا أنها ستهيئ الأرضية لظهور الوعي السياسي والحركة الوطنية الجزائرية. ومن ملامح هذه اليقظة، ظهور الصحافة الجزائرية، والجمعيات والنوادي الثقافية.

وفي المحور الخامس تطرّقت إلى موضوع "**بروز نخبة جزائرية أسست لقاعدة الوعي السياسي**"، ففي هذه المرحلة ساهمت عدّة عوامل داخلية وخارجية في تشكيل نخبة جزائرية (كتلة المحافظين، وكتلة النخبة) ستضطلع بمهمة توعية الشعب الجزائري، والدفاع عنه، وستحدث يقظة فكرية تكون قاعدة لملامح تبلور وعي سياسي في الجزائر يتوّج بظهور تيارات الحركة الوطنية. أما المحور السادس فخصّصته لموضوع " **ظهور حركة مطلبية (حركة الشبان الجزائريين)**" والتي شكّلت كتلة نخبوية إلى جانب كتلة المحافظين، إلا أنها تختلف عنها في توجّهها، وفي تكوينها الثقافي، ويطلق عليها اسم كتلة النخبة، والتي ساهمت بدورها في تعزيز حركة اليقظة.

وتناولت في المحور السابع موضوع " **التجنيد الإجباري**" وانعكاساته على الجزائريين، ودوره في تحريك الجماهير الشعبية والنخب المثقفة في شكل حراك سياسي. أما المحور الثامن " **حركة الأمير خالد**

وملامح تشكل التيار الاستقلالي"، والتي بدأت تلعب دورا مهما في توجيه الوعي السياسي المحلي، وإحداث حركة فكرية من خلال دورها في الإنعاش الثقافي، والتحريض السياسي، وبذلك تكون هذه الحركة أول حزب سياسي صغير ظهر بالجزائر.

وفي الأخير خصّصت محور ل: "**تشكّل تيارات الحركة الوطنية ومحاولات التكتل وتوحيد جهودها** " فقد كان من نتائج بروز الوعي السياسي في الجزائر الناجم عن الحركة الفكرية والاجتماعية المطلبية، وإفرازات الحرب العالمية الأولى تشكُّل الأحزاب الوطنية بمختلف اتجاهاتها (الإدماجية، الاستقلالية والإصلاحية). ونتيجة للظروف التي مرَّت بها الجزائر مطلع ثلاثينات القرن العشرين، وفي سعيها لخدمة القضية الجزائرية حاولت هذه التيارات توحيد جهودها، وتخطي الفوارق الأيديولوجية والحسابات الشخصية، فباشرت العمل السياسي في شكل موحد، تجسد في عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري، الذي ستخوض من خلاله الأحزاب الوطنية تجربة جديدة في تاريخها النضالي.

المحور 01 :

مظاهر النشاط السياسي بالجزائر خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي.

تشير أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بموضوع الحركة الوطنية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية إلى أن النشاط السياسي لم يكن وليد مطلع القرن العشرين، بل تعود جذوره إلى السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر[1]، فعندما عجزت السلطة المركزية الجزائرية عن صد الاحتلال عقب سقوط مدينة الجزائر، حاولت نخبة من حضر الجزائر خوض نمط جديد من المقاومة فرضه الأمر الواقع من خلال رفع شكاوى وعرائض احتجاجية إلى إدارة الاحتلال، والسلطات العليا بباريس تحتج فيها على السياسة الاستعمارية، خصوصا بعد التجاوزات الخطيرة التي ارتكبتها إدارة الاحتلال وجيشها، وإجراءاتها التعسفية ضد الجزائريين، وانتهاكها لأملاكهم ومقدّساتهم، بعدما اعتدت على أملاك الوقف والمساجد، وهدمت الكتاتيب، ودنّست المقابر، واتخذت عظام الموتى سلعة للتصدير وعطّلت أحكام التشريع الإسلامي. كما حاولت أن تبين فيها عدم جدوى استمرار احتلال الجزائر [2].

تتشكّل هذه النخبة أساسا من طبقة لها تنحدر من أهل البلاد الأشراف، والمهاجرين الأندلسيين. كان معظم أفرادها فقهاء، وكتاب، وقضاة، وتجار. تملك أراضي في سهل متيجة وأملاك في مدينة الجزائر، فشكلّت طبقة برجوازية ميسورة، وتحتل مكانة اجتماعية راقية بعد الأتراك والكراغلة،

---

[1] – أمثال: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، 1830 – 1900**، ج.1. أيضا: عميراوي أحميدة، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية**. و:عبد الرحمان محمّد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج. 4.

[2] – محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830 – 1954**، ترجمة محمّد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص. 34 – 45.

وكانت راضية بوضعها الاجتماعي البرجوازي، ولا تطمح إلى مناصب سياسية، لكن فيهم من تقلّد مناصب القضاء والكتابة، وغيرها من المقاليد القانونية الهامة [3].

تصدى أفراد من هذه الطبقة وبشراسة لتجاوزات الاحتلال الفرنسي، فقد احتج الفقيه "مصطفى بن محمّد لكبابطي" [4] وبشدة على قرار سبتمبر 1830 القاضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية، واعتبره مساسا بالدين الإسلامي، ونقض ما جاء في معاهدة الاستسلام وضمانات قادة الحملة. كما عارض عدة قضايا مخالفة للشرع كزواج جزائرية من فرنسي، ورفض التعليم الفرنسي، وهي مواقف دفعت بالسلطات الاستعمارية إلى اتهامه بأنه يهدف إلى القيام بثورة ضدّها، وقامت بنفيه عام 1843 إلى "سانت مارغريت" بفرنسا، لكنه اختار الإسكندرية [5].

كما عارض "محمّد بن محمود بن العنابي" [6] هذه التجاوزات، وقدّم لوائح ورسائل احتجاجية إلى الجنرال كلوزيل الذي حوّل عدة مساجد بمدينة الجزائر إلى مراكز ومستشفيات عسكرية، وحذّره من عواقب هذه الإجراءات المنافية لنصوص الاتفاق الجزائري الفرنسي. ونتيجة لنشاطه النضالي ومعارضته

---

3 – أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الإحتلال**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 1982، ص. 65.

[4] – ينحدر من عائلة ذات أصول أندلسية ثرية، ولد بالجزائر عام 1775، تلقى تعليمه الأول بالزوايا والمدارس القرآنية، ثم التحق لتلقي الدروس بالمساجد والجوامع، وبعدها اشتغل كمدرس بعدة مساجد، ثم ارتقى إلى التدريس في الجامع الأعظم سنة 1824، ثم تولى القضاء على المذهب المالكي منذ 1827 إلى غاية عام 1831، وعيّن بعدها في منصب الفتوى وضلّ به إلى غاية نفيه من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي عام 1843. ينظر : شلغوم أسماء، " **القاضي ومفتي المالكية مصطفى بن الكبابطي (1775 – 1860) وموقفه من بعض قضايا عصره**"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلّد 6، العدد 2، ديسمبر 2022، ص. 538 – 541.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2**، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص. 13 – 29.

[6] – ينحدر من أسرة جزائرية ذات مكانة فكرية وسياسية معتبرة، اشتغل معظم أفرادها في الإفتاء الحنفي، والقضاء. ولد بالجزائر عام 1775. عرف بنضاله، وكان من أبرز المفكرين المغاربة خلال القرن التاسع عشر، دعا إلى الاستفادة من علوم الأوربيين وصنائعهم وأنظمتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية بغية مجاراتهم أو التفوق عليهم اتقاء شرهم وتهديدهم الاستعماري. بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر نفاه الفرنسيون منها، فتوجّه إلى مصر، ولاّه محمّد علي الفتوى الحنفية، ووجد هناك الجو الملائم لطرح أفكاره، بحكم أن سياسية محمّد علي كانت تتّجه إلى الانفتاح على النهضة الأوربية. وافته المنية عام 1850. أهم ما ألّفه: السعي المحمود في تنظيم العساكر والجنود.

لتجاوزات الإدارة الاستعمارية حاكت ضده مؤامرة سجنته على إثرها، ثم نفته إلى فرنسا واختار الإسكندرية. فكان أول من نفته السلطات الاستعمارية أشهر بعد احتلال الجزائر [7].

وعلى خلاف النخبة المتمردة المغضوب عليها، حاول المستعمر بعد دخوله مدينة الجزائر استدراج ثلة من هذه النخبة التي صنّفها على أنها ساخطة على الأتراك، فوجه أنظاره نحوها، والتي كانت بدورها مستعدة للاستعانة، كون معظم أفرادها ظنوا أن فرنسا ستلتزم بقيمها الإنسانية ومبادئ الحرية، ومعاهدة جويلية 1830. وبعدما أزاح الفرنسيون حكم الأتراك أسندوا بعض المناصب لهؤلاء، أمثال حمدان خوجة [8]، وبعضهم تولى مركز آغا العرب، مثل حمدان بن أمين السكة [9]. وعيّن مصطفى بن عمر [10] بايا على التيطري، وتولى أحمد بوضربة رئاسة أول مجلس بلدي لمدينة الجزائر [11].

---

[7] – أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمّد بن العنابي، صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2، 1990، ص. 40 – 42.

[8] – ولد بمدينة الجزائر عام 1773. من أبرز أعلام الفكر والنّضال المغاربة خلال القرن 19م، اشتهر بدفاعه المستميت عن الجزائر المحتلة بفكره وقلمه، ينحدر من عائلة ذات وجاهة مالاً وثقافةً، تلقّى مبادئ تعليمه الأولى على يد والده الذي أرسله فيما بعد إلى الأستانة لطلب العلوم، وممارسة التجارة. ولما عاد إلى الجزائر واصل دراسته مستعينًا بوالده، فتلقى أصول إدارة الحكم التّركي والفقه والفلسفة والطب. تقلّد عدة مناصب إدارية حتى عُيّن مستشارًا للدّاي حسين، وكان همزة وصل بين الجزائر والدوّل الأوربية كونه يتقن لغاتها. بالإضافة إلى مستواه العلمي كان ميّالا للتجارة والأسفار، وهوّ ما ساعده على توسيع ثقافته جرّاء احتكاكه بالمدنية الأوربية، واختلاطه برجال الفكر والسياسة، وبعد وقوع الجزائر تحت نير الاحتلال الفرنسي تجنّد للدفاع عنها بفكره وقلمه الذي سخّره للمطالبة بحقوق أبناء وطنه المسلوبة، ولكشف فضائح الاحتلال. ومن أجل إيصال صوته إلى الرأي العام الفرنسي والعالمي، رحل إلى باريس عام 1833، وبها وجّه العديد من الرّسائل والعرائض إلى رجال السياسة والفكر ليلتفتوا إلى قضية الجزائر، وأمام إصرار فرنسا استكمال احتلال الجزائر، غادر حمدان باريس عام 1836، متّجهًا إلى القسطنطينية، فاستقرّ بها إلى أن وفاه الأجل أواخر 1845، تاركًا ورائه إرثًا فكريًا زاخرًا مفعمًا بأفكار نضالية تضمّنتها كتبه ورسائله. أهم ما ألّف: كتاب المرآة. وكتاب إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء . ينظر: محمّد بن عبد الكريم، **حمدان خوجة ومذكّراته**، دار الثقافة للطبع والنّشر، بيروت، 1972. ينظر أيضا:

- Mahfoud Kaddache, **L'Algérie dans l'histoire**, tom 5, entreprise national du livre, Alger, 1989, p. 14.

[9] – اشتغل كتاجر للأقمشة، وفي العهد الفرنسي تولى منصب آغا بفضل علاقته الطيبة مع أحمد بوضربة.

[10] – كان هو الآخر تاجرا غنيا، وتعدت تجارته إلى إيطاليا. عيّن بايا للتيطري بعد دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر.

[11] – ينحدر من أسرة أندلسية مهاجرة، اشتغل بالتجارة الخارجية، امتلك محلات بمرسيليا، ومساحات زراعية بضواحي مدينة الجزائر. وبعد سقوط مدينة الجزائر في يد الفرنسيين انتفض ضد انتهاكات الجيش الفرنسي، وبعض الإجراءات الاستعمارية، فشارك حمدان خوجة عرائضه وتقاريره.

غير أن هذه الطبقة سرعان ما أدركت أنها كانت مخطئة في اعتقادها بأن فرنسا ستعوض حكم الأتراك بحكم محلي تكون النخبة على رأسه، ووقفت على سياستها الاستعمارية القمعية، وجرائمها، وإصرارها على استكمال احتلال الجزائر. وتعرّض بعض أعضاء هذه النخبة إلى النفي، وبعضهم الآخر إلى الاعتقال والتضييق [12].

ويقسّم المؤرخ أبو القاسم سعد الله هذه النخبة حسب تعاملها مع المستعمر إلى ثلاث تيارات : تيار وطني عمل على مقاومة الاستعمار بأسلوب سياسي، وحاول إقناع سلطات باريس بعدم جدوى الاحتلال، وناضل من أجل تحقيق قومية جزائرية مستقلة. وتيار عثماني مثّلته شخصيات كانت لها مناصب سياسية خلال الحكم العثماني. وتيار رضخ للأمر الواقع، واعترف بالاحتلال، وقرّر التعامل معه، ومشاركته في حكم الجزائر. وكانت الإدارة الاستعمارية تبث بذور الفرقة والصراع بين هذه الأطراف، وتضرب طرف بطرف [13].

أسست هذه النخبة الحضرية هيئة سياسية تحت اسم "لجنة المغاربة"، تزعمها حمدان بن عثمان خوجة [14]. وكان من أبرز أعضائها (مصطفى بن عمر، إبراهيم بن مصطفى، حمدان آغا أمين السكة، وأحمد بوضربة). نشطت هذه اللجنة داخل الجزائر، ورفعت عدّة تقارير وشكاوى إلى إدارة الاحتلال وسلطات باريس، ثم أرسلت حمدان خوجة ليمثلها في باريس لدى السلطات العليا، والرأي العام الفرنسي والعالمي [15].

وتعتبر العرائض، والرسائل والتقارير أهم وسيلة اتخذتها هذه اللجنة لإيصال صوت الأهالي، والتعبير عن مطالبها واحتجاجها، وكشف تجاوزات الإدارة الاستعمارية وجيشها في الجزائر. وتعد العريضة التي بعث بها حمدان خوجة إلى وزير الحربية الماريشال "سولت" في جوان 1833 من أبرز هذه العرائض، كشف فيها حمدان وممثلو الأهالي للسلطات الفرنسية بباريس عن فضائع الفرنسيين عند

---

[12] – سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر ... مرجع سابق، ص. 66.

[13] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، 1830 – 1900**، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص. 102 – 116.

[14] – Hachemi Djiar, **L' Algerie**, **Histoire sans tabous des pistes pour l'avenire**, T.1, Ed. ANEP, Alger, 2012,p. 307.

[15] – سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر ... مرجع سابق، ص. 65 – 73.

دخولهم الجزائر، وعددوا هذه التجاوزات والانتهاكات في 18 شكاية. كما أرسل عدّة رسائل احتجاج إلى الجنرال كلوزيل ووزير الحربية، والسياسيين بباريس، وإلى الملك الفرنسي لويس فليب [16]، دعا فيها إلى إعادة النظر في القضية الجزائرية. فحمدان خوجة اطّلع على الفكر القومي، وأدرك بأن الحرّية أساس تجسيد القومية، وأكّد على أن لكل شعب له لغة ودين وعادات يختلف بها عن الشعوب الأخرى الحق في تكوين وطن مستقل، وقومية تمثّل هويته، وهو ما حقّقته عدّة دوّل، عكس الشّعب الجزائري الذي حرمه الاستعمار الفرنسي من ذلك [17].

أراد حمدان من خلال طرحه لهذه الحقائق أن يثبت أحقية الشّعب الجزائري في استقلاله، وتكوين قومية متحرّرة، فنوّه إلى الاختلاف بين الشعبين الجزائري والفرنسي في الدّين واللّسان والعوائد، وهي اختلافات تشكّل حاجزًا منيعًا بينهما، وأنه يستحيل على فرنسا أن تفرض أفكارها وهويتها على الشّعب الجزائري، لهذا يستوجب عليها قبول مطالب الجزائريين المتمثّلة في حرّيتهم في تأسيس وطن لهم يكون مستقلاً عن فرنسا [18].

وبذلك يكون حمدان من أوائل الدّعاة إلى الحركة الوطنية والقومية، وإلى استقلال الشخصية الجزائرية عن المستبد [19]. وكان متحسّرًا على ما لحق بوطنه من ظلم، فكان يعتزّ بجزائريته وينسب نفسه

---

[16] _ حمدان خوجة، **المرآة، (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيّالة الجزائر)**، عرّبه وعلّق عليه محمّد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972، ص. 275 . 276.

-George Yver, " **Si Hamdan ben Othman Khoudja** " , revue Africaine , n° 57, 1913 , p. 97 - 110.

[17] – وهو ما أشار إليه في كتابه (المرآة) حين قال: " عندما أتأمّل في أوضاع الشعوب الأخرى، لا أجد من بينها شعباً محكوما عليه بأن يقاسي مثلنا، فأرى اليونان قد أستجيب إلى استغاثته وجُمع شمله, وأرى الشعب البلجيكي قد انفصل عن هولندا بسبب اختلاف في بعض أصول سياستهما وديانتهما، ورأى جميع الشعوب الحرّة تعتني بـ (بولونيا) من أجل استعادة جنسيتها إلى الوجود، وإنني لأرى كذلك حكومة انجلترا تخلّد مجدها وتثبّت شرفها بتحرير الزنوج". ينظر: حمدان، خوجة، **المرآة، (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيّالة الجزائر)**، عرّبه وعلّق عليه محمّد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972 ، ص. 18.

[18] – **رسالة حمدان خوجة إلى أعضاء اللجنة الإفريقية.**

[19] – مصطفى الأشرف، " **من زعماء المقاومة في المدن، سي حمدان بن عثمان خوجة** "، مجلّة المجاهد الثقافي، إصدار جبهة التحرير الوطني، عدد 323، 10 جويلية 1966، ص. 19. ينظر أيضا:

- Hachemi Djiar, L' Algerie… op.cit, p. 307.

إلى الجزائر في جميع مؤلّفاته ورسائله. كما أكّد على أنّه مستعد للدّفاع عن وطنه بكل ما أوتيّ من قوّة، وللتّضحية في سبيله بأمواله وبجهده، وهو ما جسّده إلى حدّ كبير من خلال نضاله السياسي المستميت، وتحرير عدّة عرائض، وتأليف كتابه (المرآة)[20] الذي أبرز من خلاله معاناة الشّعب الجزائري، وفضح فيه وحشية الاستعمار الفرنسي، واستنهض به همم الجزائريين [21]. كما أرسل عريضة للسلطان العثماني محمود الثاني عام 1834 شرح فيها حال الجزائريين، وما يلاقونه من ظلم، طالبا منه نصرتهم. ونشر مع رفاقه مطالبهم السياسية، وعرّفوا بالقضية الجزائرية في عدة جرائد بباريس، واتصل بشخصيات بريطانية للضغط على البرلمان البريطاني لمساندة الجزائريين [22].

ونتيجة لنشاطه السياسي هو ورفاقه في باريس أجبرت سلطات باريس على تشكيل لجنة عالية المستوى، مهمتها التوجه إلى الجزائر للوقوف على الوقائع وتقصي الحقائق، سميت باللجنة الإفريقية أو لجنة التحقيق. تشكّلت بأمر من الملك لويس فليب في 7 جويلية 1833. وكلّفت بمعاينة الأوضاع

---

[20] – ألّفه حمدان خوجة بباريس في جويلية 1833 باللّغة العربية، ثمّ ترجمه إلى اللّغة الفرنسية صديقه حسونة دغيس (وزير خارجية طرابلس)، والكتاب الأصلي الصادر باللّغة العربية مفقود، وعثر فقط على النّسخة المترجمة إلى اللّغة الفرنسية تحت عنوان:
Aperçu Historique sur la régence d'Alger, intitulé en arabe (le miroir), par sidi hamdan ben othman Khodja … traduit de l'arabe par : H D Oriental)
ومن خلال هذا العنوان الطويل يتضح أنّ العنوان الأصلي للكتاب هو le miroir (المرآة). عالج فيه حمدان مسائل تاريخية واجتماعية، ومفاهيم فلسفية، قسّمه إلى مقدّمة وكتابين، وملحق، تحدّث في المقدّمة عن الشّعب الجزائري الخاضع لظلم الاستعمار، وقارنه ببقية شعوب العالم التي تنعم بالحرية. وتحدث في الكتاب الأول عن سكّان الجزائر، وعاداتهم ومنتوجاتهم وأصنافهم. أما في الكتاب الثاني فقد تطرّق إلى الحكم التركي، والاستعمار الفرنسي للجزائر وحشيته. وتضمّن الملحق مجموعة من الرّسائل والشكاوي، والعرائض. كان يهدف من خلال تأليفه هذا إلى إطلاع الرأي العام على ما يحدث بالجزائر من تجاوزات وحشية ارتكبت على أيدي السلطة العسكرية الفرنسية، وتحت غطاء الدّولة التي تدّعي المدنية، واطلاعهم على تاريخ الشّعب الجزائري وطبائعه التي تأبى الخضوع لمن يخالفهم في الجنس والدّين. ينظر: بن عبد كريم، مرجع سابق، ص. 119 . 125.

[21] – حمدان خوجة، **المرآة، (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيّالة الجزائر)**، عرّبه وعلّق عليه محمّد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972، ص 5 – 24. ينظر أيضا:
– نفسه، ص.307، (رسالة وجّهها حمدان إلى رئيس الوزراء ووزير الحرب سولت، في 09 جويلية 1833).

[22] – Hachemi Djiar, op.cit, p. 306.

بالجزائر، وإيجاد حلول للمشاكل الهامة. لكن تبين فيما بعد أن دورها كان معرفة إمكانية توسع الجيش الفرنسي داخل البلاد، وكيفية إخضاع الأهالي أو استمالتهم، وتحديد شكل النظام الذي يطبق بها [23].

قدّم حمدان خوجة عدة عرائض لهذه اللجنة، وكتاب المرآة، بيّن فيها طبيعة المجتمع الجزائري وثقافته وحضارته، وكيانه السياسي، وأشار إلى وقائع دخول الحملة الفرنسية إلى الجزائر وانتهاكاتها لممتلكات ومقدسات الجزائريين، واقترح حلولا تخدم الشعب الجزائري وتفيد فرنسا [24].

كما قدّم أحمد بوضربة بدوره عريضة لهذه اللجنة طالب فيها بتحسين وضع بلاده، ومقاربة مصالح فرنسا ومصالح المعمرين والأهالي. وعارض طريقة الاحتلال واستعمال القوة، وانتقد تخلي الفرنسيين عن أنصارهم من الجزائريين، واقترح أن يسمح للجزائريين بالسكن بجوار المعمرين لتحقيق الاندماج، ويطلع الأهالي على الحضارة الأوربية. وطالب فرنسا بالتوسع في باقي الوطن، وحكم البلاد بالعدل، وهو ما يعود بالفائدة على الأهالي وعلى فرنسا [25].

وبدوره قدّم حمدان بن أمين السكة عريضة قرأها كاتب اللجنة، أكّد فيها على أن إدارة الاحتلال في الجزائر ارتكبت مجازر وانتهاكات شوهت صورة فرنسا، وتسببت في عداء الجزائريين لها. واقترح أن يشرك أعيان الأهالي في إدارة الجزائر [26].

غير أن توصيات اللجنة الإفريقية جاءت صادمة، وتبين أن مهمتها كانت دراسة كيفيات توسيع الاحتلال وترسيخه، وعلى أساس تقريرها وتوصياتها تم إعلان إلحاق الجزائر بفرنسا واعتبارها قطعة فرنسية منذ عام 1834 [27].

---

[23] – هناك لجنتان توجهتا من فرنسا إلى الجزائر، الأولى سميت باللجنة الخصوصية، تألّفت في 7 جويلية 1833، بعد إلحاح حمدان خوجة على وزير الحربية المريشال سولت. وقد زارت عدة مدن بالجزائر. أما اللجنة الثانية تألفت في 12 ديسمبر 1833 عرفت باللجنة الإفريقية، واستفادت من شهادات بعض حضر الجزائر أمثال حمدان خوجة، وأحمد بوضربة وحمدان أمين السكة.

[24] – ينظر: حمدان، خوجة، المرآة ... مصدر سابق.

25 – أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 1982، ص. 115 – 121. ينظر أيضا: محفوظ قداش، جزائر الجزائريين ... مرجع سابق، ص. 37 – 39.

26 – نفسه، ص. 123 – 124.

27 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، 1900 – 1930، ج.2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.4، 1992، ص. 33.

نظرا لنشاط لجنة المغاربة السياسي والدبلوماسي الذي أزعج سلطات الاحتلال، وشكّل خطرا عليها، قرّرت التخلص منها، وقامت بالتضييق على بعض عناصرها، ونفت بعضهم، وسجنت البعض الآخر، وعلى رأسهم حمدان خوجة الذي اضطر لمغادرة الجزائر نحو باريس، بعدما أُحيكت ضدّه الدسائس، وحبست أملاكه. وفي باريس سلطت عليه الرقابة فاضطر إلى مغادرتها متجها صوب الأستانة. كما تعرّض أحمد بوضربة للنفي كونه متهما برئاسة لجنة سياسية تعمل لاستعادة الحكم الإسلامي. وكانت سلطات الاحتلال قد نفت حمدان بن أمين السكة إلى فرنسا في جانفي 1831.

وختاما يتجلى بأن جماعة النخبة الحضرية جنّدت أقلامها وجهودها بغية رفع الظلم الذي سُلّط على أبناء وطنها، وعبّرت عن مطالبهم، ونقلت صوتهم إلى سلطات باريس والرأي العام، واقترحت حلولا تتماشى مع الواقع الجديد الذي فرض على الجزائر وشعبها. غير أن أفرادها لم يكونوا على درجة واحدة من الطموح والأفكار، وتباينت مواقفهم من المتسلط الجديد، بين رافض له كليا، وبين طامح لإعادة الحكم التركي، وبين متحمّس لتأسيس قومية جزائرية مستقلة عن الأتراك وعن الفرنسيين، وبين من رضخ للأمر الواقع وأصبح برى بأن مصلحة الأهالي ومصلحته الشخصية ترتبط بالتعامل مع المستعمر. ورغم اختلاف توجهاتهم فإن مصيرهم كان واحدا، وهو النفي والإبعاد، والتضييق، والسجن.

المحور 02 :

أفول المقاومات الشعبية المسلحة وتنامي سياسة التسلط الاستعماري في النصف الثاني من القرن 19م.

عقب أفول مقاومات الشعب الجزائري التي حاولت التصدّي للمستعمر، الذي تمكّن من إخمادها بفعل فارق العتاد والعدّة، انطوى الشعب الجزائري على ذاته مؤقتا دون أن يستسلم، وواصل المقاومة بوسائل أخرى، رافضا الواقع الاستعماري المفروض عليه. وقد اكتسى هذا الرفض رغم أنه لم يتمكن من الحيلولة دون استكمال احتلال الجزائر بعدا وطنيا، ووقف في وجه السياسية الاستعمارية في شقها الأخطر المتمثل في تدمير روح المقاومة، والقيم الوطنية للأمة. وبذلك أصبحت المقاومة المعنوية السبيل الوحيد مؤقتا للشعب الجزائري بعد عجز مقاوماته المسلحة عن تحقيق مرادها [28].

فرغم انهزام الشعب عسكريا أمام قوة متفوقة عليه تقنيا وتكتيكيا، واستكان مؤقتا، فقد احتفظ بقدراته في الصمود والمقاومة، وبقي متعلقا بقيمه الوطنية والحضارية، وهو ما حفّزه على التصدي بكامل قوته لمحاولات محو شخصيته، وللمشاريع الإدماجية الاستعمارية [29].

ولعل أكثر ما استفز الجزائري ونخبته، تلك القوانين الاستثنائية العنصرية، فقد خضع الجزائريون لنظام قانوني واجتماعي يميز بين المستوطنين الأوروبيين والجزائريين في الحقوق المدنية والسياسية.[30] فمند السنوات الأولى للاحتلال سنّت فرنسا الاستعمارية تشريعات استثنائية مخزية لا تسوي بين المستوطن

---

[28] – الجيلالي صاري، محفوظ قداش، **المقاومة السياسية 1900 – 1954: الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص. 13 – 14.

[29] – عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج. 1، (1920 – 1936)**، منشورات السائحي، الجزائر، ط.2، 2008، ص. 19. 60 – 62.

[30] - Ageron, C.R, **histoire de L'Algérie contemporaine**, Paris, PUF,1968, p. 652.

والأهلي أمام القانون. وهي عبارة عن قرارات إدارية وسياسية خاصة بالمسلمين وتستثني الأوروبيين واليهود وتكرس التفرقة والتمييز العنصري، ولا تستند على روح القانون الفرنسي [31].

وعلى رأس هذه القوانين قانون، الأهالي (الأندجينا)، وهو تشريع استعماري فرضه الاحتلال الفرنسي في 28 جوان 1881 كأداة قمعية، ووسيلة لترسيخ الاستعمار والاستعلاء على السكان الجزائريين. كان الهدف منه هو إخضاع الأهالي وحرمانهم من حقوقهم المدنية والسياسية، وتحويلهم فعليا إلى رعايا من الدرجة الثانية داخل وطنهم. وبذلك يعتبر " قانون الأنديجينا" من أبرز الأمثلة على التمييز والتفرقة، فهو سلب الجزائريين كرامتهم وحقوقهم الأساسية، وجعلهم تحت رحمة سلطة استعمارية متعجرفة تجاوزت كل حدود العدالة والإنصاف[32]. وقد تلته ترسانة من المراسيم القمعية التي كان معمولا به قبل عام 1873، كرّستها أجهزة خاصة منها:

– المجالس الحربية: شُكّلت استثنائيا للنظر في مخالفات الجزائريين المدنيين دون غيرهم، في حين أن هذه المجالس تخصص عادة في باقي المستعمرات للنظر في قضايا العسكريين فقط [33]. وتكونت من أربعة مجالس حرب، اثنان في وهران وواحد في العاصمة وآخر في قسنطينة. وقد أوكلت إليها مهمة التضييق على السكان المسلمين والنظر في القضايا الجنائية والجنسية التي يرتكبها الأهالي داخل المناطق العسكرية. وبالتالي فإن جميع المخالفات والجرائم التي يرتكبها الجزائريون داخل المناطق العسكرية تعرض على المجلس الحربي للفصل فيها بالاستئناف أو المعارضة. وكان الهدف الأساسي منها هو قمع الحركات الشعبية المناهضة. [34]

– اللجان التأديبية: بعد توسيع سلطة الحكم المدني في أغلب ربوع الجزائر، سعى المستوطنون إلى تمكين المتطرفين على مستوى البلديات المختلطة من صلاحيات قهرية، وفي هذا السياق أصدر الوالي العام

---

[31] – يحي بوعزيز، "**الوضع العام في الجزائر عشية ثورة أول نوفمبر 1954**"، **مجلة الذاكرة المتحف الوطني للمجاهد**، ع 7، ص9– ص25.

[32] – عمّار عمّورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، الجزائر،2002 ص129.

[33] – مصطفى خياطي، **حقوق الإنسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي**، منشورات (ANPA)، الجزائر، ص226.

[34] – رشيد فارح، **التنظيم القضائي إبان الاحتلال بين العام وتمييز الأعمال**، الملتقى الوطني حول القضاة إبان الثورة التحريرية، الجزائر، 2007، ص55.

بتاريخ 4 جانفي 1868 [35] قرار تضمن جملة من الإجراءات الردعية، والتي لم تكن تستند إلى أي نصوص قانونية، بل نفذت من قبل هيئات أطلق عليها اسم "لجان التأديب" التي ليست محاكم بالمعنى الحقيقي، بل هي لجان تتكون من جنود لا يتمتعون بصفة القضاة، ومع ذلك كانت تصدر أحكامها بالسجن، وفرض غرامات مالية باهظة على السكان المحليين [36]. ومن ضمن هده المخالفات التي يعاقب عليها الأهالي:

– قطع وإتلاف الأشجار والمزروعات وإحراق المزارع أو أكوام الحصاد المجموعة.

– عصيان رجال الشرطة أو التحايل عليهم أو تهديدهم بأي وسيلة كانت حتى ولو كان التهديد لفضي ناجما عن رد فعل مقبول منطقيا.

– الفرار من السجن والمشاركة في القيام بالجنح. التشريد بجميع أنواعه.[37]

جاء قانون الأهالي "الأنديجينا" امتدادا لما سنته السلطة الفرنسية من قوانين تعسفية سابقة. ومن الأحكام التي تعد مخالفات يعاقب عليها الأهالي كالامتناع عن تسجيل المواليد أو الوفيات، واللقب العائلي. وإيواء أشخاص من غير الدائرة دون رخصة التنقل. والاحتفاظ بحيوانات تائهة أكثر من 24 ساعة دون إعلام السلطات الفرنسية. والانتقال إلى منطقة أخرى دون رخصة، والسكن في مكان معزول دون رخصة من البلديات. والاجتماع لأغراض دينية دون رخصة مثل: (الزردة –زيارة الشيوخ...). وإهانة مستخدمي السلطة الفرنسية حتى وإن كانوا خارج وظائفهم. أيضا مغادرة الدوار دون رخصة. والامتناع عن أوامر السلطة الإدارية. وفتح مسجد أو زاوية أو مدرسة دون رخصة. والامتناع عن الذهاب لمقابلة ضابط البوليس العدلي بعد الاتصال بالاستدعاء الرسمي [38].

وقد ترتبت عن قانون الأهالي انعكاسات خطيرة، على رأسها المجاعة التي عانى منها سكان الجزائر. فقد أدى هذا القانون الجائر إلى تدهور الأوضاع المعيشية، حتى اضطر الجزائريون في كثير من الأحيان إلى الاعتماد على الأعشاب والنباتات البرية لسد حاجياتهم. ما أدى إلى تفشي الأمراض

---

[35] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1884، ص280.

[36] – مزيان سعدي، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871–1914**، ج1، دار سانجاق، الجزائر، 2010، ص280.

[37] – رشيد فارح، المرجع سابق، ص57.

[38] – أوليفيه لوكور غرانميزون، **في نظام الأهالي**، ترجمة العربي بوينون، منشورات الشائحي، الجزائر 2011، ص114.

المعدية وعلى رأسها مرض السل.[39] وتفشي الأوبئة الفتاكة مثل الكوليرا والتيفوس. بالإضافة إلى نفاد مؤونتهم الغذائية واضطرارهم لبيع ممتلكاتهم من عقارات وأراض.[40]

ومن آثاره السلبية أيضا تفاقم ظاهرة الهجرة، فقد طرد الجزائريون من أراضيهم، وتغيير طبيعة منتجاتها إلى إنتاج الكروم وبناء المستوطنات الأوروبية.[41] ولأن هذا القانون الزجري أحدث صدمة في نفوس الجزائريين الذين اعتبروه إهانة مباشرة لكرامتهم ومساسا لمشاعرهم الوطنية، ويقيّد حرياتهم من خلال فرض نظام استثنائي يميّز بينهم وبين المستوطنين ثاروا غاضبا.[42] ونتيجة لهذا الغضب العارم، لجأ العديد من الجزائريين إلى الهجرة فرارا من بطش الحكم الفرنسي، فتفرقوا في أرجاء العالم الإسلامي فمنهم من قصد بلاد الشام وآخرون شدو الرحال إلى الحجاز والدولة العثمانية وبعضهم استقر في تونس بينما اختار آخرون المغرب الأقصى ملجأهم هروبا من ظلم الاستعمار[43].واستحدث قانون الأهالي الصادر في 20جوان1881 غرامات خاصة بالأهالي الذين يتهربون من دفع الضرائب في آجالها المحددة[44].

ومن مظاهر التسلّط الاستعماري في هذه الفترة أيضا إثقال كاهل الجزائريين بضرائب مجحفة ومتنوعة، وكان نظام دفع الضرائب غير عادل، فقيمة الضرائب تحدد حسب نوعية وجنس دافعها، أي أنه لا يتساوى المستوطن والجزائري في دفعها.[45] فالسياسة الاستعمارية لم تقتصر على إدخال تغيرات اقتصادية تخدم مصالح الاقتصاد الفرنسي فقط، بل تجاوزت ذلك إلى فرض سياسات قمعية على السكان المحليين، خاصة في حال تورطهم في أي شكل من أشكال المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي. ومن بين هذه السياسات، إثقال كاهل الأهالي بأنواع متعددة من الضرائب، وهو ما تجلى

---

[39] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، دار الغرب الإسلام، بيروت، لبنان،2005، ص190.

[40] – صاري جلالي، **تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830–1962**، تر: عابد فوزية، دار غرناطة الجزائر،1984، ص210.

[41] – بشير كاشة الفرحي، **مختصر ووقائع وأحداث ليل الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830–1952**، المؤسسة الوطنية للنشر، روبية،2007، ص141.

[42] – محفوظ قداش، **تاريخ جزائر الجزائريين بين (183واستحدث قانون 0–1954)**، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008، ص39.

[43] – عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام (1837–1962)**، ج5، دار الأمة، لجزائر،2007، ص192.

[44] – محمد العربي ولد خليفة، **المحنة الكبرى**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،1999، ص74.

[45]- AH,D upuy ,**Les impots Indigenes en Algerie** ,Alger, Imprimerie Gojosso ,1910,page91

مند المراحل الأولى للاحتلال، كما هو في المرسوم الصادر بتاريخ 17جانفي 1845، والذي نص على فرض مجموعة من الضرائب على السكان الجزائريين.[46]

كانت الضرائب المفروضة على العرب في الجزائر تشمل أنواعا متعددة، مثل الضرائب على الأراضي، والإنتاج، والماشية، والمساكن. بالإضافة إلى ضرائب فرضت عام 1860. وقد بلغت مداخيل الإدارة الفرنسية من هذه الضرائب نحو 12فرنك سنويا للفرد، مقارنة بأقل من فرنك واحد في عهد الأمير عبد القادر.[47]

وقد صنّفت هذه الضرائب إلى أربع فئات رئيسية (ضريبة الأرض، وتشمل العشور والحكور. ضريبة الماشية وتعرف بالزكاة. وضريبة الرأس، وكانت تطبق في منطقة زواوة. ضريبة اللازمة، وكانت تخص منطقة القبائل والمناطق الصحراوية. ضريبة العسة أو اللوسة والتي كانت تدفعها القبائل الصحراوية والرحل التي كانت تنزح إلى الشمال بحثا عن المراعي. وغيرها من أنواع الضرائب الأخرى [48]

كان الجزائريون بالإضافة إلى إجبارهم على دفع ضرائب شخصية مجبرون على دفع ضرائب تفرض عليهم بسبب أقاربهم، سواء كانوا من العائلة القريبة أو البعيدة [49]. وشملت هذه الضرائب ما يعرف بالضرائب الحربية التي تراوحت نسبتها بين 19%و20%من مداخيل الوحدات الإنتاجية الجزائرية في بدايات القرن 20وفقا لبعض المصادر. وقد بلغت القيمة الإجمالية لهده الضرائب نحو 21 مليون فرنك في سنة 1887 فكانت بذلك ظالمة وغير شرعية، نظرا لثقلها الكبير نتيجة للهزيمة التي ألحقت بالجزائريين [50]. بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على القبائل والأفراد الذين حملوا السلاح.[51]

---

[46] – فرنسيس كوليت جانسون، الجزائر **خارجة عن القانون**، تر: محمد المعراجي، وزارة المجاهدين، الجزائر، ص310.

[47] – عبد الله مقلاتي، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي الجزائري وورود الفعل الوطنية (1830–1962)**، وزارة الثقافة، الجزائر، ص145-146.

[48] – مقلاتي عبد الله، **في جذور الثورة الجزائرية ومقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى الفاتح من نوفمبر 1954**، وزارة الثقافة، الجزائر، ص143-144.

[49] – صالح بلحاج، **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910–1939**، دار بن مرابط للنشر، الجزائر، 2015، ص86 – 88.

[50] – بشير بلاح، المرجع السابق، ص258

[51] – عبد الله مقلاتي، **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830–1962**، وزارة الثقافة، الجزائر،2013، ص.146.

وفي الفترة الممتدة ما بين 1871و1881 اضطر الأهالي لدفع غرامة حربية ثقيلة بلغت 34.500.000 فرنك من أجل استعادة أراضيهم التي صادرتها الإدارة الاستعمارية. ومع ذلك لم تخصص هذه الإدارة شيئا من المبالغ لخدمة المصلحة العامة للسكان المحليين، بل كانت سببا من أسباب بؤسهم وفقرهم.[52]. وقد شكّلت هذه الضرائب إسهامها فعالا في دعم الخزينة العامة الفرنسية [53] ورغم أن الجزائري هو الذي يدفع كل الضرائب فإن سلطة الاحتلال ومستوطنيها هم من كان يستفيد من عائداتها.

بالإضافة إلى القوانين الرامية إلى تكريس سياسة الإدماج [54]، خصوصا قرارات حذف المحاكم الشرعية، وتجميد العمل بالتشريع الإسلامي آخر ما تبقى بيد المسلمين الجزائريين من حالتهم الشخصية، والتي تقر بتخلي الجزائريين عن التشريع الإسلامي، والخضوع للقضاء الاستعماري [55]. فمنذ السنوات الأولى لاحتلال الجزائر وسلطات الاحتلال الفرنسي تضغط تدريجيا لخنق القضاء الإسلامي. وكان مرسوم 1866 أبرز خطوة لتجريد القضاة الجزائريين من الصلاحيات، وتحويلها للقضاء الفرنسي، حتى أصبحوا كمعاونين فقط للقضاة الفرنسيين، ومنفذين لأحكامهم. وتم تعزيز هذا المرسوم بإنشاء المجلس الأعلى للفقه الإسلامي، ورغم فخامة اسمه ظاهريا إلا أنه كان في الواقع شكليا فقط ودون فعالية، فكان استشاريا فقط، وحوّل مقره إلى محكمة الاستئناف عوضا عن الجامع الكبير، وهذا ما يشير إلى انتقال السيادة الدينية والقضائية إلى المحاكم الفرنسية. ومنذ عام 1871 لجأت سلطات الاحتلال إلى الدمج القسري في كل المجالات، بما فيها المجال القضائي، الذي أصبح مختلطا، وعناصره من قضاة ومحلّفين فرنسيين ومستوطنين، فتحول القضاء الإسلامي كليا إلى القضاء الفرنسي، وفقا للقوانين الفرنسية لا التشريع الجزائري الإسلامي المعمول به منذ قرون [56].

---

[52] - Charles Robert Ageron, **Les Algériens muslmans et la France** (**1871–1913**) Paris,1968,p.258

[53] - BequlieuLeroy, **L'Algérie et laTunisie**, Paris,1897,page206

[54] – محفوظ قداش، مرجع سابق، ص. 172 – 175، 185.

[55] – عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، مرجع سابق، ص. 20.

[56] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830 – 1954، ج.4**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 427 – 457.

ونتيجة لهذه السياسات ارتفعت أصوات جزائرية خلال هذه الحقبة من الخمود التي تلت أفول المقاومات المسلحة منددّة بتجاوزات الإدارة الاستعمارية، ومشروعها الاستعماري الاستيطاني الإدماجي.

المحور 03 :
ردود الفعل الجزائرية تجاه سياسة التعسف الاستعماري ولجنة التقصي البرلمانية.

أثارت التجاوزات الاستعمارية موجة استياء لدى الجزائريين، وكانت أولى ردود فعلهم تجاهها هو توجيه وفود لباريس، ورفع عرائض تعبّر عن احتجاجهم وتذمرهم، فقد كانت الشكاية ضد التجاوزات الاستعمارية من أولى صيّغ الاحتجاج من قبل الأعيان لتتحوّل إلى أسلوب سياسي مطلع القرن العشرين، عندما طالبت نخبة من الشبان الجزائريين حق المواطنة مقابل قبولهم للتجنيد الإجباري [57].

فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان الأعيان وباسم الأهالي يحرّرون شكايات تعبّر عن تذمّر الجزائريين من الضرائب المجحفة التي أثقلت كاهلهم، أو طلب تموين وفتح طرق. وكانت بعض الشكايات أكثر جرأة عندما تستنكر بعض تجاوزات الموظفين الإداريين. ومنها شكايات حوّلت إلى لوائح أخذت طابع جماعي وطني بمطالب عامة، منها اللائحة الجماعية التي وقّعها 1700 منتخب مسلم وأعيان قسنطينة بتاريخ 10 جويلية 1887، وجّهوها إلى أعضاء مجلس الشيوخ والنواب بباريس، يرفضون فيها سياسة الإدماج عن طريق التجنيس. وحرّرت عدة لوائح وعرائض فيها احتجاج حول القوانين التي تمس بالتشريع الإسلامي ومحاولات محو الشخصية الجزائرية وسياسات الإدماج منها اللائحة التي وقّعها 1900 من أعيان وأهالي ناحية قسنطينة عام 1895 يؤكدون فيها على تمسّكهم بالشريعة الإسلامية في أحوالهم الشخصية والمعاملات والتقاضي وغيرها [58].

وفي عام 1878 توجه وفد ندرومة للمشاركة في معرض باريس الدولي، مثّله الشيخ " **محمّد بن رحال**"، فاستغل المقام عرض على السلطات الفرنسية موقف الجزائريين من تجاوزات الإدارة

---

[57] محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830 – 1954**، ترجمة محمّد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص. 236.

[58] – نفسه، ص. 237 – 244.

الاستعمارية، واحتج ضد تطبيق النظام المدني الذي ألغى سلطة أعيان الجزائر [59]. كما قدّم عريضة لمجلس الشيوخ الفرنسي في 18 جويلية 1891 احتج فيها على المساعي الاستعمارية للإدماج القسري، والتعدي على التشريع الإسلامي، وقدّم مشروعا لإصلاح القضاء الإسلامي، وطرح قضية التمثيل النيابي للجزائريين المسلمين في الجمعية الوطنية الفرنسية ومجلس الشيوخ، وانتقد السياسة العقارية الاستعمارية، وطالب بالتخفيف من حدّة قانون الأهالي[60].

ونتيجة لهذه الأوضاع المتأزمة التي عاشتها الجزائر أواخر القرن التاسع عشر جرّاء السياسة القمعية والإجراءات الاستعمارية، خصوصا سياسات الإدماج، والقوانين التي تستهدف الشخصية الوطنية، وعلى إثر الاحتجاجات والعرائض المتكررة من طرف أعيان الجزائر، وغضب الشعب شكّلت فرنسا لجنة التقصي البرلمانية المعروفة بلجنة "جول فيري" للتقصي حول قضايا الأهالي لامتصاص غليان الشعب الجزائري قبل أن تفلت وتتفاقم الأوضاع، ويصعب على الحكومة الفرنسية التحكم فيها.

– نبذة عن شخصية جول فيري وسياساته تجاه الجزائر.

ولد جول فيري "Jules Francois Camille Ferry" بتاريخ 5 أفريل 1832 بـ "سان بيمون" بفرنسا[61]. ولتميّزه تحصل على شهادة البكالوريا في سن السادسة عشر من عمره [62]. وبعد تخرّجه أصبح محاميا مشهورا. كان يعقد ندوات للشباب الجمهوري لمناقشة القضايا الاجتماعية والاقتصادية. كتب في عدّة صحف ومجلات، وانظم إلى صحيفة "Le Temps" في عام 1865. وفي سنة 1869 انتخب للهيئة التشريعية. وبعد سقوط نابليون الثالث عيّن على رأس محافظة "السين"

---

[59] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830 – 1954**، ج. 6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 225 - 227.

[60] – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ج. 7، مرجع سابق، ص. 91. ينظر أيضا:

– فضيلة حفاف، لزهر بديدة، **" من رواد الوطنية في الغرب الجزائري، سي أحمد بن رحال، (1856 – 1928)، ونضاله من أجل تعليم الجزائريين"**، **مجلة الباحث**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، مجلّد 14، عدد 3، 2022، ص. 390.

[61] - Louis Fiaux, **Un malfaiteur public**, **Jules Ferry**, ed. Librairie international Achille Le Roy. Paris, 1886, p. 11.

[62] - Maurice Reclus, **Jules Ferry 1832– 1893**, Ernst F, Paris, 1947, p. 11.

ثم "باريس"، ثم بعد ذلك عين سفيرا في اليونان[63]. وفي 4 سبتمبر 1870 أصبح عضوا في حكومة الدفاع الوطني، وفي 8 فيفري 1871 أنتخب ممثلا في الجمعية الوطنية [64].

كما عُيّن جول فيري وزيرا للتعليم في 4 فيفري 1879 وبقي في هذا المنصب حتى سنة 1881، وأول ما قام به في هذا المجال دعم التعليم العمومي وإلغاء التعليم الخاص[65]. أيضا أسندت له الشؤون الخارجية في 20 نوفمبر 1880، كذلك ترأس مجلس الجمهورية الثالثة من 25 سبتمبر 1880 إلى 1885، وبحلول عام 1891 دخل جول فيري مجلس الشيوخ ثم عُيّن كرئيس له[66].

اشتهر بسياسته القائمة على ديمقراطية التعليم، فكان ينادي بالمساواة في التعليم، فسن سلسلة من القوانين، منها قانون إنشاء مدارس تكوين المعلمين سنة 1879 قصد تكوين معلمين علمانيين، كما أصدر مرسوم يقتضي بتأسيس مدارس عليا في الجزائر (الحقوق، الآداب، الطب والصيدلة)، وسنّ قانوني مارس 1880 وجويلية 1881 حرية التعليم العالي. ثم قانون 28 مارس 1882 الذي جعل التعليم إجباريا وعلمانيا [67]. ساهم "جول فيري" في بلورة السياسة الفرنسية من خلال تمرير قوانين تنظّم حرية التجمع في ماي 1881، وحرية الصحافة في جويلية 1884، وغيرها.

– سياسته التوسعية الاستعمارية:

يعتبر "جول فيري" من أنصار الحركة التوسعية الفرنسية، فبعد أن قام بتشكيل حكومته دعّم فكرة تنظيم حملة لحماية الحدود الجزائرية، وتثبيت الاستقرار في تونس منذ 4 أفريل 1881. وكانت له بصمته الاستعمارية في فرض معاهدة الحماية على تونس "معاهدة باردو". كما شرع في تطبيق سياسة

---

[63] – دحو فغرور، "**جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية**"، عصور الجديدة، العدد 1، جامعة وهران، 2011، ص. 111.

[64] – محمد الصالح مرمول، **قوانين إدارية فرنسية في الأقاليم المغاربية (تونس– الجزائر– المغرب)** ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2013، ص. 68.

[65] – Armand Colion, **discours et opinions de l' administration colonial en Algérie**, T3, Paris, 1885, p. 260.

[66]– Robert Laffont, **L'Algérie et la France**, Paris, 2009, p 380.

[67] – Elisabeth Leroux, **Le Socle commun de connaissances et de compétences perceptions d'acteurs du système éducative Français sur ce dispositif**, thèse master de recherche en sciences de l'éducation, université de Rouen, 2008, p. 26.

توسعية نشطة في منطقة الكونغو العليا لإقناع البرلمان الفرنسي بضرورة الحصول عليها. والشيء نفسه بالنسبة لمدغشقر، فقد كرّس جول فيري اهتمامه للاستيلاء عليها، لأنه كان متأثرا بالتقارير المبالغة في تقييم ثرواتها. وفي 1884 أعلنت فرنسا حمايتها على مدغشقر. كما كانت له أيضا بصمة استعمارية في مصر فأسهم في الدبلوماسية الفرنسية في إطار التنافس الفرنسي- الإنجليزي عليها. ورحب بفكرة الإشراف الثنائي عليها. حاول لاحقا أن يتملّص من سياسته الاستعمارية لاعتبارات إنسانية واقتصادية وسياسية، إلا أن سمعته كانت قد تأثرت واستعملها معارضوه ضدّه، فهو قد أعطى دفعة كبيرة لسياسة فرنسا الاستعمارية إلا أنها أدّت في النهاية إلى تحطيمه سياسيا. توفي في 17 مارس 1893 [68].

- سياسة جول فيري التعليمية في الجزائر.

على عكس فترة السبعينات وقبل الحكم المدني التي أهمل فيها وبشكل متعمّد تعليم الجزائريين شهدت فترة 1880/ 1890 إجراءات اهتمت بالتعليم عموماً، وتعليم الجزائريين خصوصاً، فأظهر "جول فيري" اهتمامه بالتعليم في الجزائر. وأصدر مجموعة من المراسيم التعليمية منها قرار 16 جوان 1880 الخاص باختيار الكتب وانتقائها في مختلف المستويات تحت إشراف مفتش الأكاديمية، وفي 9 نوفمبر 1881 أصدر مرسوم ينص على إنشاء 08 مدارس في منطقة القبائل، فتح منها أربعة فقط[69].

كما أصدر "جول فيري" أيضاً مجموعة من القرارات تعزّز سياسة الإدماج منها "قرار 6 جويلية 1882" المتعلق بإجبارية التعليم الابتدائي[70] الذّي نص خصوصا على أنَّ التعليم الابتدائي يشمل التعليم الأخلاقي والمدني، القراءة والكتابة واللغة الفرنسية إلى جانب الجغرافيا والتاريخ لفرنسا، وبعض مفاهيم القانون والاقتصاد والسياسة، وكذلك الفيزياء والرياضيات.[71].

وبتعيين "جول فيري" وزيرا للتعليم ساير النزعة الجديدة للحكومة الفرنسية الإدماجية التي ترمي إلى تعميم التعليم بالجزائر وفقا لنظام التعليم في فرنسا. وفي هذا الإطار أصدر وزير التعليم "جول فيري" في 13 فيفري 1883 قانون التعليم العمومي، يقضي بمجانية التعليم الابتدائي للأطفال الجزائريين من

---

[68] – فغرور، مرجع سابق، ص. 117- 121.

[69] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.3 ... مرجع سابق، ص. 343.

[70] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، دار الكتاب، الجزائر، ط.2، 1963،ص. 362.

[71] – آسيا بالحسين رحوي، "**وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي**"، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، عدد 7 ديسمبر 2011، ص. 65.

الذكور، وفتح مدارس تستقبل الأطفال الجزائريين والأوربيين معا. وكان يسعى من وراء جعله إجباريا إلى جعل المدرسة سلاحاً فعّالاً للقضاء على الشخصية الجزائرية، وضرب الروح الوطنية[72]. وقد اتجه التعليم في هذه الفترة إلى تكريس اللغة الفرنسية، وسيطرة اللاتينية والمسيحية، رغم الادعاء أنه علماني، ويهدف لغرس فكرة القومية الفرنسية لدى الجزائريين[73]. ومن أجل ذلك أنشأت المدارس الأهلية التي يشرف عليها معلمون فرنسيون[74].

ثم جاء مرسوم فيفري 1885 الذي أقرّ إنشاء المدارس الرئيسية، والمدارس التحضيرية، ومرسوم 30 أكتوبر 1886 الذّي ضم المدرسة الابتدائية إلى المدارس التحضيرية، وأقسام الطفولة، والمدارس الابتدائية الرئيسية، ومدارس التكوين المهني[75]. وكمّلت هذه المراسيم بمرسومين عام 1887 نظما التعليم الابتدائي والتعليم العمومي المتعلق بالجزائريين. وفي عام 1887 صوّت البرلمان على اعتمادات إضافية لفائدة المدارس الأهلية. وبموجب هذا المرسوم تأسّس نوعان من المدارس مدارس عادية يشرف عليها فرنسيون، ومدارس صبيانية للأطفال الذكور من (4 إلى 7) سنوات، ومن 4 إلى 8 للإناث تحت إشراف فرنسي ومساعدة جزائرية[76]. كما حدّد القصد من المدارس الرئيسية الذي لم يحدده مرسوم 1883، وهي المدارس الابتدائية المؤسسة بالتجمعات الأهلية الهامة البعيدة عن القرى الأوروبية، بالإضافة إلى حق مشاركة التلاميذ الأهالي في المسابقات والامتحانات المبرمجة للأوروبيين. وألغي هذا المرسوم شهادة التعليم الابتدائي العادية الخاصة بالجزائريين[77].

---

[72] – بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830 – 1989، ج. 1**، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 269.

[73] – حامد لمين إبراهيم، "**السياسة التعليمية الفرنسية بين الأهداف الاستعمارية وتكوين النخب المثقفة في الجزائر (1830–1962) فرحات عباس نموذجا**"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، جامعة غرداية، عدد 6، ديسمبر 2018، ص. 89.

[74] – محمد بليل، **تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين 1881– 1914 (دراسة نماذج من التشريعات وتطبيقها على الجزائريين بالقطاع الوهراني)**، دار سنجاق الدين للكتاب، 2013، ص. 336.

[75] – محمد الطاهري، **النظام التعليمي ومسألة الهوية بالجزائر، لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د)**، تخصص علم الاجتماع التربوي، إشراف أحمد بن العربي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2018/ 2019، ص. 202.

[76] – عبد القادر حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزئر**، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص. 67، 150.

[77] – عزة الحسين، **التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر (1850– 1962)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف قدادرة شايب، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2019– 2020، ص. 89.

تلاه مرسوم 18 أكتوبر 1892 المتعلق بالتعليم الابتدائي، والخاص بالأهالي، والذي بعث من جديد من خلال 67 مادة الذّي كان قد تقرر في 1887، وكان هذا التعليم الخاص تابعاً للحاكم العام بخلاف التعليم الفرنسي المرتبط بالوزارة، ولقد نظم المرسوم بالتفصيل إجراءات لإنشاء وشروط التسيير الخاصة بالمدارس الأهلية[78]. فهذا المرسوم حسب توجيهات وتوصيات لجنة مجلس الشيوخ، لا يهدف إلى ترقية المجتمع الأهلي وفتح المجال أمامه للنّهوض والرقي عن طريق التعليم في جميع مراحله، وهي أيضا رغبة المستوطنين. أمَّا بالنّسبة للمدارس الإسلامية الثلاثة، فقد وصّت اللجنة أن تبقى مؤسسات وظيفية لتكوين أعوان القضاء الإسلامي وموظفي الشؤون الدينية ولا تتطور إلى مؤسسات تعليمية متخصصة في الدراسات الإسلامية العليا. كما أوصى بتخصيص مناصب التوظيف في القطاعين لخريجي هذه المدارس، وليس لهم أن يشتغلوا وظائف عمومية أخرى من غير هذه المجالين[79].

فمرسوم 1892 جاء ليلبي مطالب الكولون الذين طالبوا بإعطاء التعليم الجزائري الطابع التطبيقي والمهني دون التجول في عمق اللغة الفرنسية وآدابها، وأن يقتصر التعليم على عدد محدّد لأنهم لا يريدون علماء ونخب، وإنَّما فلاحين وحرفيين، وعمالا يوميين يستخدمونهم في مشاريعهم الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر بأثمان رخيصة[80]، فتم إعادة تنظيم كل ما يتعلق بالتعليم الابتدائي العمومي الخاص بالجزائريين.

كان التعليم في الجزائر جزء من السياسة العامة التي انتهجتها فرنسا لإخضاع الشعب الجزائري، ولذلك كان لزاما أن تكون أهداف هذه السياسة موصولة مباشرة بأهداف السياسة العامة وفي خدمتها، أمَّا الأساليب التي اتّبعتها سلطات الاحتلال الفرنسي لتنفيذ سياستها التعليمية الرامية إلى محو الشخصية القومية للجزائريين، حيث عملت مختلف التشريعات السابقة الذكر الخاصة بمجالي التعليم

---

[78] – شارل روبير آجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضة 1871 إلى إندلا ع حرب التحرير 1954**، مج. 2، ترجمة عياش سليمان، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص. 256.

[79] – جمال قنان، **أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال (1830– 1962) المنعقد بولاية عنابة 14– 15 جوان 2009**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص. 36.

[80] – حلوش، مرجع سابق، ص. 159.

التي سعت فرنسا من خلالها ربط للعملية التعليمية بسياستها الاستعمارية، فارتكزت سياستها التعليمية على: الفرنسة، والتنصير، والإدماج[81].

أ- موقف المستوطنين من السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر:

لم يتأخر المستوطنون في رفض هذه السياسة التعليمية، فهم رفضوا تعليم الجزائريين، لأن تعليمهم يشكل خطر عليهم[82]، فقد رفض ممثلي المستوطنين بالمجالس المختلفة إنشاء المدارس، وصرف الأموال على تعليم الجزائريين. وطالبوا بتحويل التعليم إلى تعليم حر يخدم مصالح الاستيطان[83]، مبررين ذلك بأن الجزائري غير قابل للتعليم، وإن أعطي له تعليما كاملا سوف يصبح خصما لهم. ولأجل ذلك أغلق الكولون أبواب التعليم في وجه الجزائريين[84] لأنَّ همّ المستوطنين الوحيد كان الحفاظ على امتيازاتهم، بينما كان "جول فيري" يفكر في مستقبل الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية [85].

رفض المستوطنون التعليم الإجباري الذي حاول "جول فيري" تطبيقه على الجزائريين[86]، فكانوا يرون بأنه لو تعلم الجزائري سيطالب بحقوقه السياسية، وبالإدماج والمساواة مع الأوروبيين، ولهذا أقام المستوطنون الأوروبيون مدارس لأبنائهم وأكاديميات لمواصلة التعليم العالي، وفي نفس الوقت أغلقوا الباب في وجوه أبناء الجزائر. طالب المعمرون بغلق المدارس التي فتحت، والامتناع عن إنشاء مدارس جديدة حيث عبروا عن رفضهم بقولهم "إنكم تضعون بين أيدي أعدائنا أسلحة تريدونها ضدنا... عاملوا الجزائريين بالطريقة التي يحتاجونها، أتركوهم على ما هم عليه، فهذه أحسن طريقة لاستغلالهم واستخدامهم..."[87]. وألحوا على ضرورة عدم تجاوز تعليم لجزائريين حدود تكوين مهني وزراعي. كما طالبوا بإلغاء التعليم الابتدائي للأهالي حيث قال أحد ممثليهم: "حين يصبح جميع الأهالي متعلمين فلن

---

[81] – بليل، مرجع سابق، ص ص. 333- 336.

[82] – أجيرون، المجتمع الجزائري... مرجع سابق، ص. 142، 357.

[83] – بليل، مرجع سابق، ص. 335.

[84] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية** 1900 – 1930، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص. 141.

[85] – عبد الحميد عومري، "**التعليم الإبتدائي بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية (1880– 1914)**"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، العدد 08، [د- ت]، ص. 248.

[86] – عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص. 73.

[87] – حلوش، مرجع سابق، ص. 106.

يجد المستوطنين عمالا في القرى". وقد عمل المستوطنون وغلاة الاستعمار على إفشال سياسة "جول فيري". وبعد انتهاء مهمته أغلق خلفه ملف تعليم الأهالي الجزائريين لإرضاء رغبة الكولون[88].

ب- موقف الجزائريين من السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر.

قاطع الجزائريون المدرسة الفرنسية التي لم تلق القبول سوى من طرف بعض أبناء الوجهاء والأعيان[89]. كما رفضوا التشريع الاستعماري الذي أصدره "جول فيري" الذي ينص على إجبارية التعليم، وشهدت الجزائر اضطرابات واحتجاجات خلال شهر نوفمبر 1882 و1883 ضد سياسة التعليم. كما أرسلت عرائض عبروا فيها عن رفضهم المطلق لرؤية بناتهم يُجبرون على دراسة الفرنسية[90].

اعتبر الأهالي هذه السياسة التعليمية وسيلة خطيرة لفرنسة أبنائهم، ومسخ هويتهم. وأمام هذا الرفض لجأت الإدارة الفرنسية لشتى الوسائل لجذب الأهالي إلى مدارسها، من بينها توزيع المكافآت على المتفوقين، وإرسال بعض التلاميذ الأكفاء إلى المدارس العليا بفرنسا وذلك خدمة لأهدافها[91].

قاوم الجزائريون السياسة التعليمية الفرنسية بكل طاقتهم، فدافعوا عن مؤسساتهم، وأسسوا المساجد ومدارس أخرى جديدة، ووقفوا على سيرها الحسن [92]. وعيّنوا لها معلمين ورجالا كرّسوا حياتهم لخدمة الثقافة الجزائرية. وكانت هذه المدارس في عهد الاستعمار وسيلة لمواجهة سياسة التنصير والفرنسة، وحماية الشخصية الجزائرية، ولمقاومة سياسة التجهيل التّي اتبعتها الإدارة الفرنسية في البلاد[93].

---

[88] – فريد حاجي، **السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837– 1937) المنطلق السيرورة، المآل**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2013، ص. 266.

[89] – عمر يزلي، **الثقافة في مواجهة الاحتلال**، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص. 151.

[90] – عبد الحميد زوزو، **الثقافة والتعليمات الحر والرسمي في العهد للفرنسي**، دار هومة للطباعة ولنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص. 28.

[91] – إبراهيم لونيسي، **أوضاع التعليم في الجزائر في منتصف القرن 19 من خلال جريدة المبشر**، العدد 19، جامعة سيدي بلعباس، ص. 37. ينظر أيضا:

– عبد القادر خليفي، **محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830– 1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 267.

[92] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص ص. 144- 145.

[93] – خليفي، مرجع سابق، ص. 270.

أما مواقف النخبة الجزائرية فقد اختلفت اتجاه سياسة التعليم الفرنسية، فمنهم من أيدها واعتبرها طريقا للرقي بالجزائري، ومنهم من رفضها واعتبرها وسيلة لمحو الشخصية الجزائرية، وتحقيق سياسة الإدماج [94]. كانت فرنسا قد نجحت في كسب بعض النخب، والبعض الآخر لعب بوجهين، فاستفاد من فرص التعليم والوظيفة، وحاول الدفاع عن شعبه بالتعبير عن شكاوي المواطنين، والدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية، ومن هؤلاء "الدكتور بن العربي، ومحمد بن رحال". وكان ابن رحال من الذين أيّدوا تعميم التعليم وإجباريته، فمسألة تعليم الجزائريين كانت من اهتماماته، وجعل منها مطلبا أساسيا أمام لجنة التحقيق البرلمانية في الجزائر سنة 1892 حيث كان يطالب بتعلم القرآن واللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية، واستعمال أسلوب الترغيب. وبذلك مثل هؤلاء مواطنيهم في المجالس الفرنسية وطالبوا بتحديث المجتمع الجزائري لإخراجه من وضعه المزري، ودافعوا عن الهوية الثقافية للشعب المقهور. وقد ساهمت شكواهم في إرسال لجنة التحقيق (لجنة جول فيري)[95].

أمَّا بالنسبة لمعارضي فكرة التعليم فمنهم الشيخ "عبد الحميد بن باديس" الذّي رفض سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ورأى وجوب تأسيس المدارس الابتدائية في المدن والقرى لتعميم التعليم الابتدائي الحر الفرنسي والعربي، ومنهم أيضا أبو اليقضان الذي انتقد المدرسة الفرنسية ومناهجه.كما طالبت هذه النخبة بإصلاح المدارس الفرنسية الجزائرية، وتوفير المعلمين الأكفاء قصد تطوير المجتمع الجزائري وتحسين أوضاعه، بما يحافظ على شخصته ويجعله يواكب تطور العصر[96].

– تشكيل اللجنة.

نتيجة للأوضاع المتأزمة التي عاشتها الجزائر أواخر القرن التاسع عشر الناجمة السياسة القمعية والإجراءات الاستعمارية خصوصا سياسات الإدماج والقوانين التي تستهدف الشخصية الوطنية، ونتيجة لسياسة إعطاء الحكم الذاتي والامتيازات للمستوطنين الأوروبيين بالجزائر. وعلى إثر الاحتجاجات والعرائض المتكررة من طرف أعيان الجزائر، وغضب الشعب شكّلت شكّل مجلس

[94] – حلوش، مرجع سابق، ص. 67.

[95] – خليفي، مرجع سابق، ص. 268 – 269.

[96] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ... مرجع سابق، ص. 167– 170.

الشيوخ الفرنسي في 16 مارس 1891 لجنة التقصي البرلمانية المعروفة بلجنة "جول فيري" للتقصي حول قضايا الأهالي لامتصاص غليان الشعب الجزائري[97].

ترأسّ اللجنة "جول فيري"[98]، وهي اللجنة التي تسمّى أيضا باسم عدد أعضائها (لجنة 18 عضو) وتكمن أهميتها في كونها الأولى من نوعها بعد اللجنة الإفريقية سنة 1833، فعبّرت عن تحول في نظرة البرلمان والحكومة الفرنسية نحو مستقبل الجزائر[99].

كُلّفت لجنة 18 بإجراء تحقيق معمّق حول عدّة قضايا متعلقة بالجزائر، واقتراح تصور جديد للتنظيم الإداري بالجزائر. انتقل وفد تشكّل من 8 أعضاء من مجلس الشيوخ يترأسهم "جول فيري" يوم 19 أفريل 1892 إلى الجزائر[100]، واستغرقت رحلة المسح 53 يوماً. جمع الوفد آراء المستوطنين والمسلمين في حوالي 102 مركز، و89 قرية استيطانية، استمع أعضاء اللجنة إلى مختلف الأطراف والمجالس المنتخبة، والجزائريين من الأعيان، والبسطاء لمختلف فئاتهم [101].

قسّمت اللجنة أعمالها إلى محاور، واختص كل عضو بمحور درسه في مختلف جوانبه، ثم قدّم عنه تقريرا مفصلا أمام مجلس الشيوخ، وبعد إتمام مهمتها تُعِدُّ لجنة الثمانية عشر في فترة 1892 – 1893 تقارير حول مختلف القضايا التي تهم الجزائر، مثل التعليم الابتدائي للأهالي، وصلاحيات الحاكم العام والنظام الجبائي الخاص بالمستعمرة، وقانون الغابات، والملكية العقارية، والتعليم العالي الخاص بالأهالي والقضاء بين الفرنسي والإسلامي، الشرطة والأمن [102].

– تقارير اللجنة وتوصياتها.

---

[97] – حياة سيدي صالح، **البرلمان الفرنسي وقضايا الجزائريين خلال القرن التاسع عشر**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، [د- ت]، ص. 12.

[98] – أجيرون، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص. 66.

[99] – جمال خرشي، **الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830– 1862**، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص. 310.

[100] – سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830 – 1900)... ج1، مرجع سابق، ص. 525.

[101] - Charles- Robert Ageron, **De L'Algérie à l'Algérie algérienne**, Ed, ENAG, Alger, 2010 p. 183.

[102] – خرشي، مرجع سابق، ص. 311.

- تقرير جول فيري (27 أكتوبر 1892):

كان جول فيري أكثر الأعضاء إطلاعا على الأمور منذ سنة 1881، فاعترف بأنَّ القوانين الفرنسية غير قابلة للتطبيق على واقع الجزائر. والأمر نفسه بالنسبة للنظام التمثيلي الذي يختصر حق التمثيل على المستوطنين دون غيرهم، لذلك يتوجب الرجوع إلى تنظيم إداري لا مركزي يتمتع فيه الحاكم العام بكامل السلطات[103]. وطالب بتوسيع نطاق الهيئات الانتخابية للأهالي وتمثيلهم. كما أشار أيضا في تقريره إلى أنَّ البلديات كاملة الصلاحيات هي استغلال للأهالي، مشيراً إلى أنَّ تصرفات المستوطنين تستلزم تدخلا صارما للحكومة وذلك من أجل ضمان قليل من العدل للأهالي، وحتى لا يهمّش هؤلاء ويحرموا من التعليم مؤكدا على التطور التدريجي للأهالي عن طريق المدرسة[104] .كما اعتبر مسألة قطاع الغابات من أهم المشاكل الجزائرية، حيث قال بأنه سوف يتم إعداد تقرير خاص، وأنه يجب تدخل السلطة المركزية في باريس، وسلطة المصالح في الجزائر. [105].

عالج التقرير دواعي أمرية الإلحاق 1881 التي حدّت من صلاحيات الحاكم العام، حيث أنه رأى عوض تركيز السلطة بيد شخصية قوية في الجزائر تم توزيعها بين تسع وزارات في باريس دون تنسيق ولا معرفه بما يحدث. واقترح أن يطبق قانون 24 أكتوبر 1870 الذي جعل من الحاكم العام وزيرا بصلاحياته السياسية والوزارية ومسؤولا أمام غرفة النواب معرضا للاستجواب[106].

ختم "جول فيري" تقريره بالعبارات التالية: " أصبحت فرنسا دولة عظيمة تضم الجزائر إليها، وعليها أن تحتفظ بهذا المكسب العظيم الذي تحقّق لأجيالها الحاضرة والقادمة"[107].

- تقرير السناتور ألكسندر إسحاق:

---

[103] - Ageron, Op-Cit, pp. 165- 166.

[104] – أجيرون، **الجزائريون**... ج1، مرجع سابق، ص. 824.

[105] - Jules Ferry, **Le Gouvernement de l'Algérie**, Imprimerie Armand colin, Paris, 1892, p. 34.

[106] – مختاري الطيب، **لجان التحقيق الاستعماري في الجزائر وردود الفعل الوطني اتجاهها 1833–1891**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2015- 2016، ص. 158.

[107] – بشير كاشة الفرحي، **مختصر وقائع أحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830– 1962**، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص. 91.

أشار في تقريره في 26 ماي 1893 أمام غرفة الشيوخ إلى أن فرنسا حاولت تعويض حكم المملكة العربية بحكم جمهورية فرنسية مصغرة، غير أن الأهلي وجد نفسه أداة ثانوية دون أن يحدد له موقعا معينا ولا مستقبلا واضحا". طالب إسحاق في تقريره إلغاء لجنة التحكيم الأوروبية وتعويضها بمحاكم جنائية تؤدّي عملها بمساعدة أربع قضاة محلفين، فرنسيان واثنان من الأهالي، كما طالب أيضا بالحفاظ على القضاة المسلمين واختيار اللجوء إلى العدالة الإسلامية أو الفرنسية [108]. اقترح أيضا ضرورة تمثيل الجزائريين في البرلمان، فهو يرى أنّ المسلمين التابعين للبلديات الكاملة الوظائف من حقهم المشاركة في الانتخابات التشريعية، وكان يحبّذ إشراكهم في هيئة انتخابية واحدة مع الأوروبيين، لكنه أخبر اللجنة المشيخية بأنّ المسلمين أعلموه برغبتهم في تمثيل الأهالي دون غيرهم نتيجة لذلك اقترح إشراك ممثلي المسلمين في عضويه مجلس خاص بالجزائر يكون مقره باريس. رفض تقرير إسحاق لكنه تمكن من استمالة أغلبية النواب المصادقة على توسيع تمثيل الأهالي في المجالس المحلية [109].

- تقرير فرانك- شوفو:

كان تقريره حول الملكية العقارية في الجزائر، نُوقش يوم 15 فيفري 1894،كان تقريرا غامضا، فهو في الحقيقة تقرير إضافي، لأنه هو عبارة عن مشروع ثوري فيما يتعلق بقانون الملكية القائمة على السجلات العقارية والتسجيل التسلسلي الجبائي. قلب هذا النظام المستحدث المقترح واقع التشريعات المتعلقة بالملكية العقارية رئسا على عقب، وبناء على ذلك كاد تقريره أن يلغى، فاضطر إلى تقليصه، واستخرج منه قانون يتضمن 17 مادة، وافقت اللجنة على المشروع بعد مناقشات عسيرة، وسعى الحاكم العام إلى تصحيح نقائص القوانين الصادرة سابقا بناء على اقتراحات فرانك شوفو [110].

- تقرير جون جول كلامجران:

تمّت مناقشة التقرير الذّي أعدّه في 22 جانفي 1894 حول النظام الجبائي في الجزائر، تميز بكونه لم يطالب بإلغاء الضرائب العربية، وأوصى ببعض التعديلات، واقترح تبسيط نظام الجباية

---

[108] - حياة سيدي صالح، **اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين 1871- 1895**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2010- 2011، ص. 238 - 241.

[109] - أجيرون، الجزائريون... مرجع سابق، ص. 837- 838.

[110] - نفسه، ص. 839.

التقليدي، كما اقترح أيضا إدماج ضريبتي العشور والحكر، وبتعميم العشور الساري العمل به في قسنطينة، وهي ضريبة يتم تقدير مبلغها بعدد المحاريث الضرورية لحرث مساحة معيّنة.كان تقريره محتشما، وخضع بعد المصادقة عليه لعدّة تعديلات، وغرق بصورة نهائية في وزارة المالية [111].

- تقرير إيميل كومبس:

كان تقريره حول التعليم الابتدائي الأهلي، وتم دراسة تقريره يوم 15 جوان 1894، فهو لم يواجه صعوبة تذكر لإقناع مجلس الشيوخ بضرورة نشر تعليم ابتدائي مخصص للأهالي، وفي نفس السياق تمَّ التصويت على قانون المالية في جوان 1892 الذي رفع مبلغ الاعتماد المالي للتعليم، وخصصت مساعدات معتبرة للبلديات لبناء مدارس لفائدة لأهالي. أشار كومبيس في تقريره إلى ضرورة تمديد الدراسة من 3 إلى 6 سنوات، وتقسيم تلك الفترة حسب اقتراح الشيخ بن رحال إلى مرحلتين، المرحلة الأولى أربع سنوات وتنتهي بإجراء امتحان للوظائف الدنيا، وتستمر المرحلة الثانية سنتين يتم خلالهما التكوين لتولي منصب الإفتاء أو الأستاذية في المساجد الكبرى أو المدارس التقليدية. كما اشترط لدخول المدارس الجديدة حصول المرشحين إليها على شهادة إنهاء المدارس الابتدائية العليا، وهذا يتطلب فتح مدرسة ابتدائية عليا أهلية على مستوى كل عمالة. كما طالب "كومبيس" بتحسين أجور المستخدمين المسلمين في المصالح الإدارية والدينية، وطالب برفع عدد القضاة والأئمة [112].

- تقرير جول غويشار:

كان تقريره حول نظام الغابات، نوقش في 1يونيو 1893 [113]، اقترح في تقريره على البرلمان إلغاء أو تعديل المادتين 6 و12 من قانون ديسمبر 1885 المتعلقين بمنع الرعي والاستغلال، وتحديد مساحات غابية في الجزائر، وتحرير الأراضي من مصلحة الغابات من أجل استخدامها للرعي أو الزراعة. فليس من المنطقي تطبيق قانون الغابات الفرنسي في بلد مثل الجزائر، ومنع الناس من المرعى في

[111] – آجيرون، الجزائريون ... مرجع سابق، ص. 836.

[112] – آجيرون، نفسه، ص. 841 – 844.

[113] – آجيرون، تاريخ الجزائر... ج2، مرجع سابق، ص. 75.

بلد زراعي وبدوي.كما اقترح إنشاء معهد جزائري للغابات تعطى فيه معارف عن السكان ومعرفة عاداتهم، بالإضافة إلى إلغاء المراسيم المتعلقة بخدمة الغابات التي جاءت في تقرير جول فيري[114].

– البرنامج الإصلاحي للجنة:

بعد هذه التقارير وضعت برامج إصلاحية تضمنتها مقوله "جول فيري": "لا يمكن تسليم مصالح شعب البلاد للعنصر الأوروبي"، مطالبا بضرورة استعادة فرنسا لدورها كحكم في الجزائر وتزويد الحاكم العام (الذي تحوّل بعد الارتباط بالوزارات إلى مجرّد مراقب لشؤون المستعمرة) بسلطات تمكنه من تخفيف وطأة الاستيطان[115]. وتضمنت هذه البرامج إصلاح نظام البلديات الكاملة الصلاحيات، ومنح المسلمين حق التمثيل في المجالس البلدية، وانتخاب وتعيين الجماعات مع الحرص دائما على ضمان الأغلبية للعناصر الفرنسية[116]. وإلغاء مرسوم كريميو الصادر في أكتوبر 1870. وإنهاء العمل بقانون الغابات الفرنسي 1827، الصادر في جوان 1851. وإنهاء العمل بقانون الأراضي الذي يجرّد الجزائريين من الملكية الجماعية. بالإضافة إلى ضرورة انتهاج نظام اللامركزية في الجزائر وتركيز الإدارة العليا في مدينة الجزائر، وأن تكون في يد الحاكم العام، ووضع جميع المصالح تحت إدارته ما عدا العدالة غير الإسلامية، والتعليم العمومي التي تبقى تابعة مباشرة للوزارات المختصة في فرنسا[117].

– نتائج اللجنة.

اهتمت لجنة جول فيري من خلال تقاريرها وتوصياتها بانشغالات الأهالي الجزائريين، وإن كان اهتمامها أكثر بالمستوطنين، إلا أنّها حاولت تعديل بعض السياسات التي اعتبرتها سبب فيما آلت إليه أوضاع الجزائر، حيث ندّدت ببعض ممارسات الإدارة سياسة الإلحاق، وأعطى تقرير "**جول فيري**" صلاحيات واسعة للحاكم العام وأعاد له سلطته المسلوبة منذ 1870.

---

[114] – Jules Ferry, Op-Cit, pp. 50- 51.

[115] – سيدي صالح، مرجع سابق ص. 244.

[116] – أجيرون، الجزائريون... ج2، مرجع سابق،. 822.

[117] – صالح عباد، **المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص. 113.

كما جمعت اللجنة شهادات عن بؤس الجزائريين وتدمير اقتصادهم بأخذ الأراضي منهم عن طريق الحيلة [118]، ومنعهم من استغلال الغابات، وقد أبدت اللجنة اندهاشها من هذا القانون الذي حرم الجزائري من استغلال غاباتها، وكبّلته بقوانين صارمة ومجحفة. وأشارت اللجنة وبفعل السياسة الاستعمارية إلى اختفاء عناصر المجتمع الفاعلة من أغنياء الحضر والأعيان والمرابطين والأشراف والقضاة والمدرسين، وأكّدت بأنَّ الجزائريين مع ذلك متمسّكين بثوابتهم، كانوا يرفضون الاندماج والتجنيس والمس بالشريعة الإسلامية وهويتهم وأملاكهم[119].

وافق البرلمان الفرنسي على ما تضمنه تقرير لجنة "جول فيري" في 30 ماي 1893، غير أنه واقعيا لم تطبّق الإصلاحات التي طرحت، فبقيت الأوضاع في الجزائر على حالها، باستثناء إعطاء شبه استقلالية للحاكم العام واعتباره مسؤولا على الإدارة الجزائرية مكلف بوضع سياسة إصلاحية تُعيد النظر في إصلاح نظام الضرائب، ومنح الأهالي حق التمثيل لأجل الدفاع عن حقوقهم، وإعادة حق الانتخابات لممثلي المجالس المحلية، بما فيها رئيس البلدية[120]، ومن أهم نتائج اللجنة هو إلغاء نظام الملحقات بموجب قرار 31 ديسمبر 1896 [121].

رد فعل الجزائريين:

عبّر الجزائريون عن تذمرهم جراء السياسة الفرنسية خاصة ما تعلق بنزع الملكية، وسياسة الاستيطان والإدماج، وقانون الأهالي، والتجنيس. وعندما قررت اللجنة زيارة الجزائر تفاءلوا وعبّروا عن تعطشهم للعدالة والإنصاف[122] ورحبوا بها نظرا للاهتمام الذي أولته لطرح انشغالات الجزائريين[123]، غير أنهم ارتابوا من توصياتها، وتخوفوا من أنها ستؤدي إلى تشويه هوية الجزائريين، وربط المجتمع الجزائري بالفرنسي، واعتبروا أن السياسة الاستعمارية تكبّلهم وتجعلهم غير مؤهلين للإدماج، وغير قادرين على

---

[118] – سيدي صالح، مرجع سابق، ص. 191.

[119] – سعد الله، الحركة الوطنية... ج1، مرجع سابق، ص. 529.

[120] – سيدي صالح، مرجع سابق، ص. 252.

[121] – خرشي، مرجع سابق، ص. 312.

[122] – أجيرون، الجزائريون... ج1، مرجع سابق، ص. 308.

[123] – سيدي صالح، اللجان البرلمانية ...مرجع سابق، ص. 163.

ممارسة الحقوق الانتخابية بكيفية مرضية [124]. كما طالبوا بحق تعليم أبنائهم في المدارس العربية، معارضين المدرسة الفرنسية. وصاغوا مطالبهم في عرائض احتجاجية مطالبين بأن يكون لهم ممثلون بالاقتراع العام والمباشر حتى يتناسب مع مصالح الأهالي، ويتناسب مع التمثيل الفرنسي، وإرجاع الصلاحيات للقضاة المسلمين التي انتزعت منهم[125].

من بين العرائض التي قدّمها الجزائريون للجنة جول فيري عريضة سكان مدينة قسنطينة عام 1891 فقد أشار أعيان مدينة قسنطينة في إجابتهم عن استجواب اللجنة البرلمانية إلى أوضاع الجزائريين المسلمين في ظل هيمنة الكولون على شؤون الجزائر، وإلى وطأة الضرائب وقانون الأنديجينا، وطالبوا بانتخاب نواب يمثلون الجزائريين وينقلون مشاغلهم إلى المجالس العليا. كما اشتكوا من صرف مال الأهالي على المصالح الخاصة بهم، وامتعضوا من خضوع الإدارة للمستوطنين، وعبرّوا عن تمسكهم بأحوالهم الشخصية، كما طالبوا بانتخاب نواب يمثلون الجزائريين حتى ينقلوا مشاغلهم في المجالس العليا، واشتكوا من الفقر وسوء الأوضاع بسبب مصادرة الأراضي وإعطائها للمعمرين. كما طالبت العريضة بالإبقاء على الملكية الجماعية للأراضي، وعدم تمزيقها، واستنكرت فرض الضرائب الدنية والمدنية التي كانت تثقل كاهل المواطنين[126].

وفي عريضة أخرى أجاب "يحي بن الشريف" عن أسئلة اللجنة البرلمانية الإثنى عشر تشابهت فيها أجوبته مع أجوبة أعيان قسنطينة، تطرّق فيها لمختلف انشغالات الرأي العام الجزائري. ركز يحي بن الشريف على الأضرار المترتبة عن نزع الملكية، وقانون الحالة المدنية الذي يرفضه الجزائريون، وإجبارية الخدمة العسكرية، وإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية في القضاء. ونادى أيضا بالتعليم العربي، إضافة إلى تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي والمجلس الأعلى للحكومة[127] .

كما قدّم أعضاء المجالس البلدية في "واد سيقان، وقطار العيش، وعين سمارة" عريضة أشارت لما يعانيه الأهالي من بؤس جرّاء سياسة الإدارة الفرنسية وهيمنة الكولون، وهاجمت قوانين الأرض التي

---

[124] – جمال قنان، نصوص سياسية... مرجع سابق، ص. 211- 212.

[125] – أجيرون، نفسه، ص. 816- 817.

[126] – قنان، مرجع سابق، ص. 216- 221.

[127] – سعد الله، الحركة الوطنية... ج1، مرجع سابق، ص. 491.

انتزعت الأرض من أهل البلاد وسلمتها أو باعتها لليهود بأثمان زهيدة. وانتقدت العريضة قانون الغابات العقابي. وطالبت بتعديل الغرامات بكيفية عادلة، وإبطال القوانين الاستثنائية، وانتخاب نواب مستقلين منتخبين في المجلس البلدي والولائي، والمجلس الأعلى بالجزائر، وفي البرلمان الفرنسي بمجلسيه، وإعادة النظر في ترتيب نظام المحلفين ليشمل العرب أيضا. إضافة إلى إنشاء المدارس العربية[128].

وفي سنة 1892 قدّم أعيان قسنطينة عريضة عبّروا فيها عن ظلم المستوطنين، وسوء حالهم، وتذمروا من الضرائب المفروضة عليهم، وطالبوا بإلغاء قانون الأندجينا أو التخفيف منه، وكذا رفضوا التجنيد الإجباري، والتزام بالحالة المدنية، وبالتعليم الفرنسي، وفضلوا البقاء على أحوالهم الشخصية. كما طالبوا بانتخاب نواب يمثلون الجزائريين وينقلون مشاغلهم إلى المجالس العليا. وأن يكون للجزائريين نفس الحق الممنوح للأوروبيين فيما يخص منح الأراضي، كما عارضت العريضة قانون التجنيس، والتأكيد على إعادة تنظيم المدارس الإسلامية، مع فرض التعليم باللغة العربية في التعليم الابتدائي للأهالي وللمستوطنين للتعريف بثقافة الشعب الجزائري[129].

كما طرح "حميدة بن باديس" الذي كان نائبا عن عمالة قسنطينة تقريرا عن حالة الجزائر مع زملائه، نشر بجريدة الشهاب تحت عنوان:"بين الماضي والحاضر شكوى الجزائر وبلواها منذ ست وأربعين سنة" عرض فيه أوضاع الجزائريين المزرية، ومللهم من وعود فرنسا، وأشار إلى هيمنة الكولون خاصة على الخزينة. وطالب بصرف الأموال في المصالح العمومية التي تخدم المسلمين. كما تطرّق إلى التضييق على الإسلام واللغة العربية. لخص مطالبه في ضرورة المساواة في التمثيل النيابي في المجالس الكبرى، وإلغاء قانون مصادرة الأراضي، وتخفيف الضرائب التي أنهكت الجزائريين، ورفض التجنيس الجماعي، والتجنيد الإجباري، وعدم المساس بالأحوال الشخصية خاصة فيما يتعلق بمسائل الدين، والميراث، والأسرة. وركّز في تقريره على مشكلة الغرامات المفروضة على الأراضي، وعجز الأهالي عن

[128] – عثمان سعدي، مرجع سابق، ص. 647- 648.

[129] – قنان، مرجع سابق، ص. 250- 257.

دفعها، كما طالب بالعمل وفق للشريعة الإسلامية في القضاء في مختلف القضايا. كما طالب بفتح مجال التعليم للجزائريين [130].

وفي 7 أفريل 1891 قدّم أعيان مدينة تلمسان عريضة إلى وزير الحربية معبرين عن رفضهم التجنيس، والخدمة العسكرية، وأوضحوا أنه لا يمكنهم التضحية من أجل امتيازات دنيوية، وأن حمل السلاح قد يستعمل لأغراض أخرى. كما طالبوا بعدم التدخل في الشؤون الدينية، وأي مساس بها سيؤثر على المبادئ الشرعية، وطالبت العريضة رفع الظلم والتعسّف الممارس ضدّ الجزائريين [131].

وفي السنة ذاتها سافر وفد جزائري إلى باريس يمثّل حركة الشبان الجزائريين، تطرّق للمسائل التي لم تهتم بها اللجنة البرلمانية. وكان من بين الأسماء البارزة على رأس الوفد الدكتور محمد بن العربي[132] والشيخ محمد بن رحال. قدّم الوفد مطالب تمحورت حول نشر التعليم بين جميع الطبقات، وفتح الآفاق أمام التعليم العالي، والتراجع عن قرار سبتمبر القاضي بحل المحاكم الإسلامية، وتدعيم الجهة الاجتماعية وحماية المعوزين، وتوزيع عوائد الوقف على المشاريع الخيرية، والتراجع عن تجزئة الأملاك المشاعة بين العائلة الواحدة، وإلغاء قانون الأندجينا، واختيارية تجنيد الجزائريين، مع المساواة في الترقية والعلاوات مع الفرنسيين، وعدم إلزامية الأهالي بالتجنيس، كما طالب بتوسيع الهيئة الانتخابية للجزائريين، وتمثيل برلماني مستقل للأهالي، وأن يكون لهم نواب دائمون، ومراجعة قانون الغابات وتخصيص مساحات للأهالي للحفاظ على ثروتهم الحيوانية، وتخفيف الضرائب على الأهالي [133].

يتضح من خلال هذه العرائض بأن المسائل المشتركة التي طالب بها الأعيان وأهالي الجزائر تتركّز في الإبقاء على الأحوال الشخصية الإسلامية دون تجنس، وإلغاء قانون الأنديجينا، وتخفيف الضرائب،

---

[130] – جريدة الشهاب، "**شكوى الجزائر وبلواها منذ ست وأربعين سنة**"، ج 2، المجلد 13، سنة 13، 1937- 1938، قسنطينة، ص. 73- 82.

[131] – قنان، نصوص... مرجع سابق، ص. 210- 214. ينظر أيضا: سعدي، مرجع سابق، ص. 649.

[132] – من أبرز أعيان الجزائر. ولد في 3 أكتوبر 1853 بمدينة شرشال، انتقل إلى مدينة الجزائر لإكمال دراسته الابتدائية، واصل دراسته الجامعية بكلية الطب بجامعة الجزائر. ثمَّ انتقل إلى باريس وأتمَّ دراسته الجامعية سنة 1883 انتخب في المجلس البلدي. رجل سياسة كزميله محمد بن رحال. كانت لهما مواقف متشابهة ومنسقة دفاعا عن مصالح الأهالي. توفي في 20 أكتوبر 1939. ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 5، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص. 330- 332.

[133] – أحمد مريوش، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر**، ج 1، مؤسسة الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 32- 33.

ورفض الخدمة العسكرية الإلزامية، ورفض الحالة المدنية على الطريقة الفرنسية باتخاذ الألقاب العائلية، وتغيير الكنية والأسماء، ورفض إجبارية التعليم الفرنسي، واستعادة العمل بنظام القضاء الإسلامي، ونشر التعليم لدى الجزائريين بما يحافظ على هويتهم، والمساواة بين الأهالي والأوربيين.

المحور 04 :
بوادر يقظة فكرية في الجزائر مطلع القرن العشرين (حركية صحفية وجمعوية).

لما فُرض الاحتلال على الجزائر بقوة السلاح من طرف قوة استعمارية كانت في أوج امتدادها عالميا خمد الجزائري خمود الشرارة تحت الركام دون أن يستسلم، ثم انتهج طرق أخرى بديلة عن المقاومة المسلحة، يتوسل من خلالها الحفاظ على الشخصية الوطنية بعدما فقد الأرض ريثما تأتي الظروف المواتية للثورة على المستعمر. وبرزت هذه الشرارة مباشرة عندما تمادت سلطات الاحتلال في سياساتها الاستعمارية الاستيطانية، وبعدما طرأت مستجدات مواتية محلية وعالمية.

أُجبر الشعب الجزائري منذ السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي على الدخول في نفق مظلم خيّم عليه انتشار الأمية والبدع والخرافات بفعل السياسة الاستعمارية التي كانت تستهدف إضعاف المقاومة الشعبية، وسلخ المجتمع الجزائري عن هويته. لكن وسط هذا الظلام، ورغم تأخر ظهور نهضة جزائرية بفعل السياسات الاستعمارية فقد ظلّ شعاع خافت متوهجا استمر نتيجة للدور الذي لعبته بعض الزوايا والكتاتيب في المحافظة على هوية الجزائريين وظلت تربطهم بماضيهم وكيانهم، وساهمت في بعث التعليم الديني، وتكوين نخبة سيكون لها دورا في الدعوة لتغيير واقع المجتمع الجزائري.

وهي كلها عوامل ساهمت في ظهور ملامح يقظة فكرية وثقافية أواخر القرن التاسع عشر، ورغم أنها كانت محتشمة إلا أنها ستهيئ الأرضية لظهور الوعي السياسي والحركة الوطنية الجزائرية. ومن ملامح هذه اليقظة، ظهور الصحافة الجزائرية، والجمعيات والنوادي الثقافية.

1 – ظهور الصحافة الأهلية:

ظلّت الصحافة منذ الاحتلال حكرا على إدارة الاحتلال والمعمرين، ولم يخض الجزائريون غمارها إلى غاية مطلع القرن العشرين نتيجة سياسة التسلط والتجهيل التي مارستها سلطات الاحتلال في

الجزائر، ومحاولة شل أي جذور يمكنها أن توقظ الحس الوطني. ورغم وجود صحف تصدرها إدارة الاحتلال والمعمرون، فإن الجزائريون لم يهتموا بها كونها تصدر بلغة لا يفهمها إلا القليل من الجزائريين، ومواضيعها تنصب حول شؤون الإدارة والجيش والمعمرين مهملة شؤون واهتمامات الجزائريين [134].

ومع أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ظهرت صحافة جزائرية، عندما أسس بعض الرواد الجزائريين من مختلف الاتجاهات صحافة وطنية كأداة للمقاومة الثقافية والفكرية، وكوسيلة للتعبير عن مطالب واهتمامات الأهالي [135]. وقد ساهم في ظهورها اطلاع النخبة الجزائرية بالصحف التي ترد من المشرق (العروة الوثقى، المنار ...)، ومساهمتهم في الصحف التي كانت تصدرها الإدارة الاستعمارية (المبشر)[136] أو الصحف المحلية التي أنشأها المعمرون، منها جريدة "المغرب" التي يصدرها "بيار فوتانا. P. Fontana" عام 1903، وهي من أولى الصحف التي صدرت باللغة العربية، وفتح المجال أمام النخبة الجزائرية 137، وكذلك جريدة "النصيح" التي أصدرها المستعرب الفرنسي "ادوار غزان" بمدينة الجزائر عام 1899 [138].

وبذلك تمكّنت نخبة جزائرية من إنشاء صحافة وطنية تعبّر عن انشغالات الشعب الجزائري وتكون منبرا للنخبة حتى تتواصل مع شعبها، وتنشر الوعي، ومشروعها الإصلاحي، وتواجه من خلالها السياسات الاستعمارية. وكانت أهم الصحف التي ظهرت أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20م:

---

[134] – الزبير سيف الإسلام، **رواد الصحافة الجزائرية**، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1981، ص. 9 – 10.

[135] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، 1900 – 1930**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص. 134.

136 – أصدرتها الحكومة الفرنسية سنة 1847م، جعلتها اللسان الرسمي للولايات العامة، تطبع باللغتين العربية والفرنسية، يشرف على تحريرها مدير مصالح الشؤون الإسلامية بالجزائر، تنشر البلاغات ونصوص القوانين والترقيات والنصوص القضائية، إضافة إلى مواضيع أخرى سياسية في مجال التحذير النفساني وتبرير السياسة الاستعمارية في الجزائر، وأصبحت تصدر باللغة العربية والفرنسية ابتداء من 15 سبتمبر 1847، كان محررها الأول الشيخ البدوي إلى غاية 1886، ثم خلفه علي بن عمر، ثم ابن سماية، ثم محمد بن مصطفى بن الخوجة، ثم السيد شرشالي، ومحمد بن أحمد... وغيرهم، حتى إنتهت إلى الشيخ كحول سنة 1907، والذي يعد من أبرز محرريها. ينظر: زكرياء مفدي، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، تحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص. 34

[137] – محمد بن صالح ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، منشورات** ألفا، الجزائر، ط2، 2006، ص. 28، 29.

[138] – زكرياء مفدي، مرجع سابق، ص.35.

– **صحيفة الحق البوني**: وهي صحيفة أهلية ظهرت بمدية عنابة في 30 جويلية 1893، تعتبر من أولى الصحف التي ساهمت في تطور الصحافة الأهلية وفي نشر الوعي السياسي، فهي صحيفة سياسية أدبية تهتم بمصالح الجزائريين كما جاء في شعارها (من أجل الله، الوطن، العدالة، الحرية، الحق). كان مديرها هو "بنقي سليمان"، ومدير تحريرها " عمر السمار" الذي كان من النخب المثقفة المتخرجة من المدارس الفرنسية. اعتبرت نفسها بمثابة السلاح الذي بيد الأهالي، ومنبرا لكشف وضع الجزائريين ومعاناتهم، وتجاوزات المستعمر الذي تجاهل الجزائريين وحرمهم حقوقهم، واضطهدهم، ومنصة لتعريف الجزائريين بثقافتهم وتراثهم، ونشر الوعي بينهم [139].

– **المصباح**: وهي جريدة مزدوجة اللغة، أصدرها المدرّس "العربي فخار" مع جماعة من النخبة بوهران شهر جوان 1904، ولم يستمر صدورها سوى سنة واحدة. وتعد أول جريدة تعبر عن تيار الشبان الجزائريين، تمحورت مواضيعها حول التشجيع على طلب العلم، والأخذ بالتقدّم، والانفتاح على التعليم الفرنسي، وتجنّب الكسل، والعادات البالية. كما ركّزت عنايتها على الشباب الجزائري وحثه على التعلم لاسترجاع مكانته الضائعة. كما ركّزت مواضيعها على الدفاع عن مصالح الأهالي، وانتقاد الوضع السائد في الجزائر الناتج عن تسلّط الكولون، وسياسة الاضطهاد التي انتهجتها إدارة الاحتلال.[140]

– **الجزائر**: أصدرها "عمر راسم" بمدينة الجزائر في 27 أكتوبر 1908. ولكن الإدارة الفرنسية أوقفتها بعد صدور عددين منها فقط،[141]. كانت تهدف إلى توعية الشعب الجزائري وتثقيفه، واطلاعه على السياسة الداخلية والخارجية [142]. وكانت الصحيفة تدعو إلى فكرة الوطنية، وهو ما عبّر عنه عمر

---

[139] – صبرينة الواعر، " **الصحافة الأهلية أواخر القرن التاسع عشر، الحق البوني أنموذجا (1893 – 1894)**"، مجلة المعيار، مجلّد 25، عدد 59، سنة 2021، ص. 221 – 226.

[140] عادل نويهض، **المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850–1912**، دراسة تاريخية واجتماعية، دار الأدبي، وهران، 2006، ص. 52 – 53. ينظر أيضا: سعد الله، الحركة الوطنية ...مرجع سابق، ص. 134.

[141] أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص 73

[142] محمد بن صالح ناصر، مرجع سابق، ص. 36- 37.

راسم في عددي سبتمبر وأكتوبر 1908، الذي دعا الجزائريين إلى الاقتداء بحراك الشبيبة التركية والمصرية.[143]

– **الحق الوهراني**: أصدرها عام 1911 التاجر الفرنسي "شارل طابي" الذي اعتنق الإسلام، واندمج مع الأهالي الجزائريين. صدرت في البداية باللغة الفرنسية ثم أضيفت لها عام 1912 صفحتين باللغة العربية كانت تصدر بعنوان فرعي "مصر– الفتاة"، اشتهرت بمعاداتها للإدماج، فكان شعارها مقتبس من عبارة نابليون الثالث: "إني أريد أن أشكركم في تسيير شؤون بلادكم". نشرت الصحيفة مقالات تدين التعسّف الاستعماري في الجزائر، والتمييز العنصري الذي تمارسه إدارة الاحتلال ومستوطنوها تجاه الجزائريين [144]. كما دعت صحيفة الحق إلى الابتعاد عن المشاريع الفرنسية حتى تلك التي تقترح تحرير المسلمين، وشددت على ضرورة عودة الوحدة الإسلامية، كما شنّت حملة ضد مرسوم التجنيد الإجباري، ودعت إلى إلغاء قانون الأهالي والمحاكم الاستثنائية، وإنشاء المدارس المهنية والأساسية، وتحسين وضعية العمال المسلمين، وحق الارتقاء في المناصب الإدارية [145].

– **جريدة الإسلام**: أسسها "الصادق دندان" عام 1912 بعنابة [146]، ثم تحولت إلى الجزائر العاصمة في جانفي 1912، وكانت تصدر باللغة الفرنسية، وبداية من جويلية 1912 ظهرت نسخة أخرى باللغة العربية. انصبت مواضيعها حول المطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين. توقف صدورها مع اندلا ع الحرب العالمية الأولى [147].

– **جريدة الفاروق**:أصدرها "عمر بن قدور" بالعاصمة في 18 فيفري 1913، عرفت بنزعتها الإسلامية والوطنية القوية، وهو ما يتجلى في افتتاحية عددها الأول: " جريدة إسلامية بكل معاني

---

[143] محفوظ قداش، جيلالي صاري، **الجزائر صمود ومقاومات 1830– 1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص59.

[144] نيكولاي، ديالوف، **حركة الفتيان الجزائريين في مطلع القرن العشرين**، ترجمة عبد العزيز بوباكير، أمدوكال للنشر، الجزائر، 2015، ص. 148.

[145] محفوظ، قداش، جيلالي، صاري، مرجع سابق، ص. 60– 61.

[146]– زهير إحدادن، **أعلام الصحافة الجزائرية، ج 3**، دار احدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 49

[147]– الصادق بلحاج، **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والاستقلالي 1919–1939**، مذكرة ماجيستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2012، ص 21

الكلمة تبحث في شؤون المسلمين، مع مراعاة الاعتدال الذي انتقته مشربا لها "، اهتمت بقضايا المسلمين وواقع المجتمع الجزائري، فحاربت البدع والمنكرات التي تروجها بعض الطرق الصوفية، كما دعت إلى الرجوع بالدين إلى منابعه الصافية الأولى، ومقاومة التحجر والجمود الذي يقف أمام تطور المجتمعات الإسلامية، منددة بأفكار الشباب الجزائريين المتفرنس المقلد للمدنية الغربية[148].

– **ذو الفقار**: أصدرها "أبو منصور الصنهاجي" بمعية "عمر راسم" بالجزائر العاصمة في أكتوبر 1913، كانت حادة في انتقاد السياسة الاستعمارية، اقتدى محرّروها في مشروع إصلاح المجتمع بالإمام عبده [(149)] وهو ما أكّده عمر راسم في افتتاحية عددها الأول، بقول أن: "ذو الفقار جريدة عبدوية إصلاحية، وأنها لا تخرج عن الطريقة التي خطها لها رجال الإصلاح المخلصين". [150]

ورغم المراقبة الصارمة التي فرضت على الصحافة الوطنية إلا أنها استطاعت أن تشق طريقها إلى الوجود حتى وإن كانت توأد وهي لا تزال فتية [151]. فقد صمدت بفضل عزيمة الوطنيين، وواصلت مسيرة توعية الجزائريين، والنضال ضد التعسّف الاستعماري، وإيصال انشغالات ومطالب الجزائريين، بالإضافة إلى دورها الإصلاحي [152].

2 – تأسيس الجمعيات والنوادي:

بالإضافة إلى تأثير حركة النهضة في الجزائر التي بدأت ملامحها أواخر القرن التاسع عشر على ظهور الصحافة الأهلية، فإنها ساهمت في انتشار الجمعيات والنوادي الثقافية، التي ظهرت في الفترة ما بين 1890 و1914، وأدت دور المدرسة، وكانت بمثابة محافل للفكر والثقافة، وملتقى اجتماعي، وللرياضة والكشافة، ومقرا للنشاط شبه سياسي [153]. فالنشاط الجمعوي وتأسيس النوادي يعد ظاهرة

---

[148]– محمد بن صالح ناصر، مرجع سابق، ص 40-42

[149] زكريا، مفدي، مرجع سابق، ص.57.

[150] محمد بن صالح ناصر، المرجع نفسه، ص.45.

[151] –صالح الخرفي، **المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 64-65

[152]– الزبير سيف الإسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 95-96

[153] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ... مرجع سابق، ص. 137.

اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الواقع المعاش، والجزائر كانت تعيش تحت وطأة قانون الأهالي التعسّفي [154].

ظهرت الجمعيات والنوادي في هذه الفترة نتيجة لتوفر عدّة عوامل، على رأسها انتهاج الإدارة الفرنسية في عهد الحاكم العام "شارل جونار" سياسة التقرب من الجزائريين لصرف اهتمام الجزائريين في ظلّ انشغال فرنسا بالتنافس الاستعماري بين القوى الأوربية، خصوصا حول المغرب، ففتح نسبيا المجال السياسي والنشاط المدني الجمعوي [155]. ومن بين الجمعيات والنوادي التي ظهرت في الجزائر آنذاك:

– الجمعية الرشيدية:

تأسست بمدينة الجزائر سنة 1902 من طرف طلاب المدرسة العربية الفرنسية، وبعض الفرنسيين، ترأسها "صروي" مدير مدرسة أهلية [156]، وكان أبرز أعضائها بن بريهمات رفقة مجموعة من أفراد النخب الإسلامية التقليدية، أمثال بن رحال، وابن سماية، وعبد القادر المجاوي.كان لها فروع في عدة مدن جزائرية. اهتمت الجمعية بالجانب الاجتماعي، فقدّمت الإعانة المادية للمدارس المحلية، ولمكتبات الأهالي، كما ركّزت على الجانب الثقافي من خلال تنظيم محاضرات ودروس مختلفة في مجالات معرفية متعددة، وأغلبها كانت تلقى باللغة العربية [157]. ففي سنة 1907 نظّمت سلسلة من المحاضرات، تنوعت مواضيعها بين الفكر، والطب والقانون، والأدب والسياسة، منها محاضرة أبو القاسم الحفناوي بعنوان" فرنسا الحرية وتفوق اللغة الفرنسية" ومحاضرة ابن بريهمات بعنوان "تاريخ الطب العربي"، وتطرّق ابن التهامي في مداخلته لموضوع "مرض السل"، وقدّم ابن سماية محاضرة بعنوان "تاريخ الأدب العربي"

---

[154]– أبو القاسم، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830– 1954**،ج5،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص.313.

[155] – أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، تقديم: أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، الجزائر، 2004، ص. 108.

[156] نفسه، ص. 109.

[157] – نيكولاي ديالوف، **حركة الفتيان الجزائريين في مطلع القرن العشرين**، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، امدوكال للنشر، الجزائر، 2015 ص. 142.

وابن زكري بعنوان "الإسلام واللغات الأجنبية"، وقدّم عبد القادر المجاوي محاضرة حول "الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام"، وقدّم ابن رحال محاضرة بعنوان "التوفيق بين الإسلام والتقدم" [158].

– **الجمعية التوفيقية:** تأسست سنة 1908، وفي سنة 1911 أعادت جماعة النخبة تنظيمها وهيكلتها، ترأسها الدكتور ابن التهامي ونائبه محمد صوالح، وبعد سنة من تأسيسها بلغ عدد أعضائها 200 عضو[159]. كانت التوفيقية إحدى أكبر الجمعيات في الجزائر في مطلع القرن العشرين، كان مشروعها ينصب على توحيد الأهالي الراغبين في التعلم وتطوير وعيهم العلمي والاجتماعي[160].

نظمت التوفيقية سلسلة من المحاضرات العلمية سنة 1911، حول القانون الإسلامي والتاريخ العالمي، والحضارة العربية والأدب [161]. كما كانت تنظم دروس مجانية ومراجعات في اللغة العربية والرياضيات ومواد أخرى، وتجرى هذه الدروس في الغالب بمنزل رئيس الجمعية ابن التهامي، كما اهتمت بنشر الوعي الصحي، ونظّمت حصص للتلقيح الطبي مجانا [162].

لم يقتصر ظهور الجمعيات وتأسيسها على المدن الكبرى فقط بل سرعان ما ظهرت عدة فروع لها في مختلف المدن الجزائرية الأخرى، كما ظهرت عدة جمعيات أخرى مثل: جمعية العلوم الحديثة بخنشلة، والجمعية الإسلامية بقسنطينة، والجمعيات الأخوية بمعسكر، ونادي الرقي بعنابة [163].

ـ نادي صالح باي:

أسسه بعمالة قسنطينة نخبة من الجزائريين والفرنسيين المتعاطفين مع الأهالي في حدود سنه 1907 وعلى رأسهم نائب مجلس عمالة قسنطينة "أريب"، وتولى شارل جونار رئاسة النادي شرفيًا. كان للنادي عدة فروع في مختلف أنحاء الجزائر، وما أن حلت سنة 1908 حتى بلغ عدد أعضائه

---

[158] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.4، 1992، ص. 140.

[159] – إبراهيم، مياسي: **مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830– 1962**، دار هومة، الجزائر، ط3، 2016، ص. 240 - 241.

[160] – نيكولاي دياكوف، مرجع سابق، ص.139.

[161] – سعد الله، الحركة الوطنية ... مرجع سابق، ص. 137 – 138.

[162] – نيكولاي دياكوف، المرجع نفسه، ص ص.140- 141.

[163] – أحمد صاري، مرجع سابق، ص. 113.

1700 عضو[164]. كان نادي صالح باي عبارة عن ملتقى للدراسات الأدبية، العلمية، الاقتصادية، الاجتماعية.[165] عمل على دعوة المثقفين المتعلمين إلى الانضمام إليه ووضع خبراتهم فيه. كما سعى إلى نشر التعليم ومساعدة الجزائريين على تطوير أفكارهم، وذلك من خلال المحاضرات العلمية والأدبية التي كان تلقى بمراكزه، وتأسيس جمعيات تقوم بأعمال خيرية، إضافة إلى جهوده لمحاربة الانحلال الخلقي والظلم.[166]

ساهمت هذه الجمعيات والنوادي مساهمة فعّالة في يقظة الجزائر مطلع القرن العشرين، وخلق حركية ثقافية فكرية، فروادها حاولوا أن يطوّروا المجتمع الجزائري، وأن يجعلوا منه مجتمعا متنورا، وإخراجه من نمطه التقليدي، ولو تحت مظلة السلطة الفرنسية، فركّزوا على نشر التعليم، وحفّزوا على التقدّم والانفتاح على الحضارة المعاصرة، ونشروا فكرة الحرية [167].

[164] – سعد الله، الحركة الوطنية... مرجع سابق، ص. 138.

[165] – أحمد صاري، مرجع سابق، ص.111.

[166] – محمد بلعباس، مرجع سابق، ص. 12.

[167] – سعد الله، مرجع نفسه، ص. 140 – 141.

المحور 05 :

بروز نخبة جزائرية أسست لقاعدة الوعي السياسي.

.

رغم الحصار الذي ضرب على الجزائر منذ 1830 ومحاولة عزلها عن محيطها الحضاري الإسلامي، واعتبارها قطعة فرنسية فإنها حافظت على أواصر الأخوة، ولم تنفك على اتصال بإخوانها في العالمين العربي والإسلامي. وظلت نخبة من الجزائريين تزور البقاع المقدسة، والأزهر والزيتونة، وغيرها من الأمصار الإسلامية، واتصلت بأعلام الفكر والدين والسياسة بها، وتأثرت بالمستجدات السياسية، والتيارات الفكرية، والحركات الإصلاحية التي ظهرت بها [168].

كما انتقلت بذور الحركة الفكرية والإصلاحية من المشرق إلى الجزائر عبر عدة قنوات، منها ورود صحف ومجلات تصدرها هيئات وشخصيات إصلاحية كمجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده، وتهدف إلى إحياء النهضة الإسلامية وتوحيد المسلمين لمواجهة التهديد الاستعماري، ومجلة المنار التي أسسها رشيد رضا، وجريدة المؤيد وغيرها [169]. بالإضافة إلى زيارة بعض الشخصيات الفكرية للجزائر كزيارة محمّد عبده، وتأثيرها على نخبة من الجزائريين فكريا، ونشر الوعي

---

[168] – ظهرت بالعالم الإسلامي والعربي أواخر القرن التاسع عشر تيارات فكرية وحركات إصلاحية، منها حركة التجديد الإسلامي التي كان من أبرز روادها جمال الدين الأفغاني، ومحمّد عبده، ورشيد رضا وغيرهم. كما برزت فكرة الجامعة الإسلامية التي طرحها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وتبنتها شخصيات فكرية أمثال جمال الدين الأفغاني، تدعوا إلى توحيد المسلمين تحت راية الدولة العثمانية، وتعبئتهم لمواجهة المد الاستعماري بالعالم الإسلامي.بالإضافة إلى انتشار أفكار الحركة السلفية الوهابية التي ظهرت بالحجاز أواسط القرن الثامن عشر، وانتشرت في بقاع العالم الإسلامي. وبالجوار انتشرت أفكار الحركة السنوسية، والمهدية وغيرها من الحركات الدينية الإصلاحية التي ظهرت في تلك الفترة، بالإضافة إلى بروز تيارات فكرية وسياسية، أهمها ظهور الفكر القومي العربي.

169 – زكرياء مفدي، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، تحقيق أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص. 34.

من خلال إلقاء محاضرات وندوات ثقافية وفكرية [170]. ومن خلال اتصال بعض الجزائريين بشخصيات مؤثرة كشكيب أرسلان وغيره [171].

وقد شهدت الجزائر أيضا مطلع القرن العشرين زيارتين للشيخ محمّد الخضر حسين (الجزائري الأصل)[172] عامي 1903 و1904، قاصدا نشر الوعي والإصلاح، فزار عدّة مساجد ومكتبات وحضر دروس دينية ولغوية، وألقى بعض المسامرات في الفقه والحديث والتفسير، والتقى خلال تنقلاته في مدينة الجزائر وبعض المدن الأخرى (قسنطينة، تبسة، سوق أهراس، عين البيضاء، باتنة ...) بعدد من المشايخ وعلماء الجزائر أمثال الشيخ محمّد بن أبي شنب، والشيخ عبد القادر المجاوي، والعلامة عبد الحليم بن سماية، والشيخ السعيد بن زكري وغيرهم [173]. وقد كان لهذه الزيارة التي قام بها محمّد الخضر حسين للجزائر آثارا إيجابية ساهمت في نشر الوعي وأفكار تقدمية، وإحداث يقظة فكرية، وفي ترقية الآداب العربية، وتجديد طرق التعليم في المؤسسات التعليمية.

– ملامح تشكّل نخبة محافظة:

وهي تأثيرات ستفرز في الربع الأخير من القرن التاسع عشر نخبة جزائرية متأثرة بتلك الأفكار ستقوم بدورها بنشر الوعي الوطني، وإحداث حركة فكرية، والسعي لإنعاش الشعب من غفوته، وإخراجه من مرحلة الجمود النضالي، وإحياء نزعته الدينية والوطنية، وتحضير أرضية صلبة لوعي سياسي جزائري. ولتحقيق ذلك أنشأت صحف، ونوادي وجمعيات تنشر من خلالها الوعي الوطني والحس

---

170 – جيلالي صاري، **بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850 – 1950)**، ترجمة عمر المعراجي، منشورت ANEP، الجزائر، 2007، ص. 57.

171 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930، ج.2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992،ص. 116 – 118.

172 – محمّد الأخضر بن الحسين، ولد بنفطة يوم 21 جويلية 1873. كان من مريدي الشيخ مصطفى بن عزوز شيخ الطريقة الرحمانية.تلقى العلوم الدينية واللغوية على يد خاله الشيخ محمّد المكي بن عزوز ومجموعة من المشايخ. ثم انتقل إلى تونس لمواصلة تعليمه بجامع الزيتونة، اعتلى الشيخ محمّد الخضر حسين مشيخة الأزهر.حتى اشتهر في المشرق والمغرب، وعرف عنه مساندته لحركات التحرر المغاربية. توفي 1958. ينظر : محمّد مواعدة، **محمّد الخضر حسين، حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

173 – عبد المجيد بن عدّة، **الخطاب النهضوي في الجزائر 1925 – 1954**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005، ص. 89 – 90.

الديني [174]. وقد تبلورت كل تلك المساعي في ظهور حركة ثقافية شبه سياسية ناهضة ذات توجه إسلامي (كتلة المحافظين) دون نظام أو تشكيل حزبي، كان أبرز روادها :

– الشيخ عبد القادر المجاوي [175].

يعد أحد طلائع المصلحين من الكتلة المحافظة الذين برزوا مطلع القرن العشرين، وكان من رواد بث روح الإصلاح في الجزائر، وزرع بذرة النقد الاجتماعي [176]. وأحد أهم المشيدين لأرضية النهضة الجزائرية، بمؤلفاته، ومحاضراته، ونشاطه الصحفي [177].

فقد ساهم من خلال جهوده التعليمية في إحداث نهضة علمية في مدينة قسنطينة التي استقر بها سنة 1869، وأخذ يمارس التدريس بمدارسها ومساجدها وزواياها، وينشّط المدارس الحرّة، وكانت أعين الإدارة الاستعمارية تراقب نشاطه، وظنّت أنه بإمكانها تحديد ارتقائه ونشاطه بتوظيفه عام 1873 بالمسجد الكبير بمدينة قسنطينة (مسجد الكتاني). ثم عيّن أستاذا بالمدرسة الرسمية للمدينة عام 1877، وهي مدرسة الكتاني الخاصة بتكوين أعوان المحكمة الإسلامية والفقهاء [178].

---

[174] – ساهم أفراد هذه النخبة في أحداث نهضة جزائرية بعد عقود من الجمود والانعزال والرضوخ، وفي نشر الوعي الوطني والسياسي عبر عقد ندوات، وإلقاء محاضرات، وإنشاء النوادي والجمعيات الثقافية (الجمعية الرشيدية، الجمعية التوفيقية، نادي صالح باي، نادي التقدم، نادي الشباب الجزائري). كما ساهمت في ظهور الصحافة الوطنية خصوصا العربية منها التي عملت على بث روح النهضة، وإطلاع الجزائريين على الأفكار والنظم الجديدة في العالم وإحياء الوعي الوطني وبلورة الشخصية الجزائرية بثوابتها الأساسية وفضح السياسة الاستعمارية (ظهرت جريدة الحق، صحيفة الإسلام، جريدة المصباح، صحيفة المغرب)

[175] – ولد بتلمسان سنة 1848، في أحضان أسرة علمية ذاع صيت أفرادها بما فيهم أبوه وعمه وجدّه في الفقه والقضاء، حفظ القرآن الكريم، ثم بدأ دراسته الابتدائية بالمغرب (تطوان وطنجة) بعدما رحل والده إليها عندما احتلت منطقتهم (قبيلة المجاوة التي كانت تقطن بغرب الطرارة على الحدود الجزائرية– المغربية) من طرف الفرنسيين، ثم أكمل دراسته بجامع القرويين بفاس الذي تلقى فيه على يد أساتذة مشهورين علوم النحو والصرف، والفقه والحديث والمنطق. عاد إلى الجزائر عام 1869، واستقر بمدينة قسنطينة. ورغم صغر سنّه الذي لم يتجاوز 22 سنة إلا أنه أصبح مدرّسا في الزوايا والمساجد. وفي عام 1873 عيّنته فرنسا مدرّسا بالمسجد الكبير، ثم أستاذا بالمدرسة الرسمية للمدينة عام 1877، وهي مدرسة الكتاني الخاصة بتكوين أعوان المحكمة الإسلامية والفقهاء. وفي سنة 1898 أصبح أستاذا بالمدرسة الثعالبية. وافته المنية بقسنطينة عام 1914 .ينظر: عبد القادر المجاوي، **المرصاد في مسائل الاقتصاد**، تقديم علي تابليت، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012، ص. 7. أيضا: محمّد الصالح الصديق، **أعلام المغرب العربي**، ج. 1، موفم للنشر، الجزائر، ط. 2، 2008، ص. 40. أيضا: جيلالي صاري، مرجع سابق، ص. 32 – 42.

[176] – بن عدّة، مرجع سابق، ص. 61.

[177] – سعد الله، الحركة الوطنية...، ج.2، مرجع سابق، ص. 148.

[178] – جيلالي صاري، مرجع سابق، ص. 33.

ولإبعاده من قسنطينة نتيجة لنشاطه التعليمي والإصلاحي الذي أخذ يوقظ العقول وينير الأبصار عيّنته الإدارة الفرنسية عام 1898 أستاذا بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة، وبها كثّف جهوده التعليمية والإصلاحية لما كانت تعانيه العاصمة من رقابة استعمارية وتجهيل، فكان ينشر الوعي والعلم بين طلابه حتى خارج الدرس، ويعقد جلسات تعليمية وتربوية. كما ساهم بفعالية في تنشيط الحياة الثقافية بمدينة الجزائر، من خلال بث فكره وإلقاء محاضرات توعوية وأنشطة ثقافية في النوادي والجمعيات، والمساهمة في إنشاء بعضها [179]. كما ضاعف جهوده الإصلاحية الدينية خصوصا بعد تعيينه عام 1908 إماما وخطيبا بمسجد سيدي رمضان بالعاصمة، فحارب البدع والخرافات المنتشرة بالمجتمع والتي ساهم المستعمر في تفشيها، وعمل على نشر القيم الإسلامية الصحيحة [180].

وبالإضافة إلى نشاطه التوعوي والتعليمي، فقد ساهم في الحركة الصحفية، فكان ينشر في جريدة المنتخب، وجريدة المغرب (1903)، وشارك بمقالات في جريدة كوكب إفريقيا في الفترة الممتدة بين 1908 – 1909. فكانت منبرا له لطرحه أفكاره ودعواته الإصلاحية ونشر الوعي الوطني، فكانت مقالاته ذات مواضيع دينية، واجتماعية، وتعليمية تربوية، فنادى في بعضها بإصلاح العقيدة وتنقيتها من الشوائب والبدع والخرافات، ودعا العلماء إلى تحمّل مسؤولية محاربتها عن طريق الإرشاد. وتطرّق في مقالات أخرى إلى الآفات الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية التي تنخر المجتمع [181].

كما كانت له جهود لإصلاح الزوايا والطرقية، فنبّه بعض الطرقيين الذين انحرفوا عن التدين الصحيح، وانغمسوا في البدع والضلالات، وذكّر ببعض الآداب التي يجب أن يتحلى به المريد [182]. فكان بذلك مصلحا اجتماعيا بحق، ناصحا، منبها، ومرشدا. وركّز في مقالاته على موضوع التربية التي نالت اهتمامه، فحاول أن يعطي منهجا خاصا بها، قائم على أسس علمية حديثة. كما اهتم بالجانب

---

[179] – محمّد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر (1921 – 1975)**، ج. **2**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1978، ص. 112 – 114.

[180] – دبوز، نفسه، ص. 114.

[181] – عبد القادر المجاوي، **اللمع على نظم البدع، شرح على منظومة البدع للعالم الشيخ محمّد المولود بن الموهوب**، مطبعة قونطانة، الجزائر، 1912، ص. 112.

[182] – عبد القادر المجاوي، **شرح الشيخ العلامة المجاوي لمنظومة العارف بالله سيدي محمّد الإمام المنزلي في آداب المريدين**، بعناية عبد الرحمن دويب، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. 11 – 36.

الاقتصادي، وحث الجزائريين على الاقتباس عن الغربيين، والاستفادة مما وصلوا إليه في هذا المجال وجميع المجالات الدنيوية.

ورغم النزعة التقليدية للشيخ المجاوي، فقد كان من الرواد المستنيرين الذين دعوا منذ وقت مبكّر إلى اليقظة، ونبذ الركود والجمود، وضرورة الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وتثمين العلم للخروج من دائرة التخلّف والانحطاط. تفاعل مع قضايا بلده الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية، وركّز على ثلاث تحدّيات تواجه بلاده آنذاك وهي الجهل، التجنيس، الإدماج والردّة. واتخذ السبل والوسائل الفعّالة يصبوا من ورائها بلوغ أهداف مسطّرة يتوجب تحقيقها تدريجيا من خلال توعية وتثقيف الأجيال الصاعدة وإعادة إحياء ثقافة عريقة تساهم في إيقاظ الوعي العام [183].

وبالإضافة إلى اعتماد عبد القادر المجاوي على الصحافة لطرح المشاكل التي كان يعاني منها الشعب الجزائري، وباللغتين العربية والفرنسية، فكانت له بعض الرسائل والكتب، منها كتاب "ارشاد المتعلمين" في اللغة والنحو والبلاغة"، طبع بمصر. و" نصيحة المرتدين" رسالة توجيهية نشرت في تونس. و"شرح ابن هشام" كتاب في النحو والأدب، طبع بقسنطينة. و"شرح الأمية المجرادية في المسائل النحوية "نشرها بعنابة بالمطبعة البونية سنة 1894. و"الدرر البهية على الأمية المجرادية في الجمل". و"الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية في اللغة والنحو" بمطبعة فونتانا بالجزائر العاصمة. الإفادة لمن يطلب الاستفادة، طبع سنة 1911. الاقتصاد السياسي. والفريدة السنية في الأعمال الجيبية طبعا بمطبعة فونتانا. وتحفة الأخبار فيما يتعلق بالكسب والاختيار. وغيرها من الكتابات.

ترك المجاوي الذي يعد في طليعة المصلحين الذين برزوا أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أثّرا واضحا من خلال نشاطه وجهوده الإصلاحية وفكره النهضوي على كوكبة من رجال الفكر والدين، وكوّن نخبة من العلماء والمصلحين، ستحمل مشعل الإصلاح وتواصل دربه في نشر الوعي الوطني، أمثال الشيخ السعيد بن زكري، والشيخ عمر بن دراجي قاضي الحنفية، بالجزائر، والشيخ المولود بن الموهوب وغيرهم.

[183] – صاري، مرجع سابق، ص. 33.

– الشيخ المولود بن الموهوب [184].

يعتبر من بين أبرز أعلام هذه المرحلة، ومن رواد كتلة النخبة المحافظة، كان معجبا بالنهضة الأوربية والعلوم الحديثة، فدعا إلى الأخذ بها وبأسباب التقدم، والتخلص من التخلّف والتعصب والجهل، وسعى إلى تنوير الجزائريين وعلى رأسهم أفراد كتلته، وهي أفكار تقدّمية كان يطرحها من خلال محاضراته خصوصا بنادي صالح باي، الذي كان عضوا فيه، فكانت لها صدى واسع في أوساط كتلته من النخبة ولدى الأوساط الشعبية[185]. وكان بمثابة المقدمة الحقيقية للحركة الإصلاحية عندما هيأ الأرضية الإصلاحية والجو العلمي والفكري لكوكبة من المصلحين، أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس [186].

شخّص ابن الموهوب حالة الجزائر وأكّد على أنها في حالة تدهور وانحطاط بسبب تدهور الأحوال العقلية والمادية، ولكي تتجاوز هذه الحالة عليها الإيمان بالتقدّم والأخذ بسببه، وتهتم بالتعليم، وشتى العلوم الحديثة (كالزراعة، والطب، والكمياء...)، والعناية بالآداب، ودراسة الإسلام وتاريخه، والعودة إلى منابع الإسلام النقية الصحيحة. ولهذا السبب أعلن الحرب ضد الجهل والكسل، والآفات الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية، ومسببات التخلف والفقر، وأكّد بأنه لا علاج لهذه المعضلات إلا ببناء المدارس ونشر التعليم والوعي. فهو كان مدركا بأن تحرّر أي شعب يتوقف على يقظته العقلية ووعيه [187].

ويستشف من هذا بأن ابن الموهوب يؤمن بأنه لا تزال فرصة لفرنسا بأن تعالج هذا الوضع إن كانت فعلا تسعى لإرضاء الجزائريين، وتعتبر الجزائر جزء منها. فاقترح عليها بأن تضاعف عملها

---

[184] – محمّد بن المولود بن السعيد بن المدني بن العربي بن السعود، ولد سنة 1866 بقسنطينة، أخذ العلم على يد مشايخ قسنطينة، ولازم لمدة طويلة دروس أستاذه عبد القادر المجاوي، عيّن مفتي مالكي مدينة قسنطينة منذ 1908، وهي وظيفة لا يتقلّدها إلا من تفقّه في شؤون الدين والقضايا الشرعية والاجتماعية. وفي نفس الوقت كان أستاذا للفلسفة، والعلوم الدينية، والأدب العربي في المدرسة الجزائرية الفرنسية بقسنطينة. توفي سنة 1930. ينظر: محمّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج. 1، المطبعة التعاونية، دمشق، 1965، ص. 134 وما بعدها. ينظر أيضا: سعد الله، الحركة الوطنية... مرجع سابق، ص. 150.

[185] سعد الله، الحركة الوطنية ... مرجع سابق، ص. 150.

[186] – محمّد علي دبوز، مرجع سابق، ص. 142.

[187] – سعد الله، مرجع نفسه، ص. 150 – 151.

الحضاري بالجزائر من خلال تحقيق تعليم تقدمي باللغتين العربية والفرنسية، ضمن مبدأ المساواة التامة بين الجزائريين والكولون. وهو إصلاح ضروري لا يمكن لفرنسا تجاهله فالعالم الإسلامي وضمنه الجزائر قد بدأ في اليقظة، وأصبح منفتحا على الأفكار الجديدة [188].

كما حثّ ابن الموهوب في إطار جهوده الإصلاحية التوعوية ومن أجل تجاوز حالة الانحطاط التي تعاني منها الجزائر على نبذ التعصّب المذهبي والعرقي والجهوي، والتخلي عن الكسل، والاجتهاد في دراسة العلوم الحديثة، وهو ما عبّر عنه سنة 1909 في إحدى محاضراته عندما أكّد بأن "احترامنا من غيرنا يكون من خلال جودة عملنا"، وختم محاضرته قائلا: "مزقوا عنكم عالم الظلام،وافتحوا أعينكم على عالم مليء بالضوء". وفي محاضرات أخرى دافع عن التقدّم الذي جعل الأمم الأوربية تعيش المجد والرخاء، بينما بقيت الأمة الجزائرية كسولة، متخلفة ومنكوبة، في حين فعل أجدادنا الكثير لأجلنا وللإنسانية، متسائلا عما فعلناه نحن للأجيال القادمة. كما حثّ على اكتساب العلوم الحديثة، والتحلي بقيّم التسامح، معزّزا أفكاره ودعوته بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة، وكتاب مسلمين وأوربيين أمثال فيكتو هيغو، وشكسبير، وفولتير وغيرهم [189].

تركّزت جهوده الإصلاحية من خلال مقالاته في الصحف (جريدة المغرب...) وتلك الدروس التعليمية والدينية التي كان يلقيها بانتظام على مسامع جمهوره الكبير بالجامع الكبير بقسنطينة [190] وبنادي صالح باي، مستنهضا وعي وهمم الجزائريين، مصرا على النهوض بالتعليم، فقال: " نوروا عقولكم بالمعارف، واتركوا النوم، فاليوم ليس كأمس، لقد صارت المعرفة في سباق مع الزمن. وبدل الانهماك في الملاهي المنتشرة أقبلوا على حلقات العلم، إذ لا يمكن للبلد أن يسترجع قوته وهيبته وأنتم أبناؤه جاهلون بعيدون عن العلم". ودعاهم إلى نبذ الكسل والتواكل، كما تحثّد لمواجهة التعصّب والبدع والخرافات المنتشرة وتبيان مخاطرها. واهتم بالأسرة التي تعدّ الخلية الأولى في بناء المجتمع [191].

---

[188] – سعد الله، الحركة الوطنية ... مرجع سابق، ص. 152.

[189] – نفسه، ص. 151 – 154.

[190] – دبوز، مرجع سابق، ص. 142.

[191] – عبد المجيد بن عدّة، مرجع سابق، ص. 62 – 64.

كان لنشاط ابن الموهوب طابع وطني من خلال دعوة الجزائريين لليقظة والانفتاح على التقدّم وعلوم العصر، والأخذ بأسباب الرقي، والدعوة للتعليم واكتساب المعارف النافعة، والتضامن والاتحاد، ومواجهة مسببات التخلف والآفات التي تنخر المجتمع الجزائري. كما اتخذ نشاطه طابع إصلاحي إسلامي، فهو متأثر بفكرة الجامعة الإسلامية، وأحد المساهمين في نشر فكرها، فنادي مثله مثل جمال الدين الأفغاني، ومحمّد عبده وغيرهم من روادها إلى التضامن الإسلامي لمواجهة التخلف والتهديدات الاستعمارية والتشرذم الإسلامي، وإلى العودة إلى الإسلامية الصحيح وتنقيته من الشوائب التي علقت به، والانفتاح على العصر والاقتباس من التقدم بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية [192].

– الشيخ عبد الحليم بن سماية [193].

يعتبر ابن سماية القدوة الفذّة في تنشئة ثلّة من الرجال الذين سيقودون عملية تحوّل عميق في الجزائر من خلال إحداث يقظة فكرية تتبلور تدريجيا لتشكل وعي سياسي. منحته نشأته العلمية في جو علمي أرستقراطي شخصية فذّة تتسم بثقافة ثرية، وسعة الإطلاع، وبعد النظر، متمسّك بالتراث العريق للمجتمع الجزائري، ومنفتح وواعي بالأفكار الحديثة المنتشرة خصوصا بالمشرق [194].

باشر التدريس بداية من ديسمبر سنة 1896 في المدرسة الرسمية، وبعد أن ذاع صيته انتقل إلى المدرسة الحكومية، التي كانت تطبق نظام عصريًا في التعليم، وتقوم بتكوين عدد من الموظفين كالقضاة،

---

[192] – سعد الله، الحركة الوطنية ... مرجع سابق، ص. 156.

[193] – ولد بتاريخ 15 جويلية 1866، بمدينة الجزائر، ينحدر من أسرة تركية عريقة (أصولها من أزمير، وتولى بعض أفرادها مسؤوليات في عهد الداي حسين)، لها باع في العلم والمكانة.كان والده أحد علماء مدينة الجزائر، درّس فيها بعدّة مساجد. استهل عبد الحليم بن سماية دراسته الأوليه بالمسجد في مدينة الجزائر، فحفظ القرآن الكريم، ثم درس على يد والده المواد الدينية والقواعد اللغوية، فيما تعلّم المنطق والبلاغة والحساب على يد مجموعة من الأساتذة، ثم انكبّ على مراجعة المصنّفات ونال منها نصيبا من المعارف. وقد ساعدته مكتبة والده الثرية في الإطلاع على المعارف والعلوم المختلفة. ولم يكتف بمطالعة الكتب، بل كان مهتما بما يكتب في الصحف المشرقية والفرنسية التي كانت تدخل الجزائر، وهذا ما أكسبه ثقافة واسعة ومتنوعة. بدأ التدريس في سن مبكرة، فعين مدرسا بالجامع الكبير وعمره لا يتجاوز 20 سنة وهي دروس خصّصها لتعليم اللغة العربية وعلوم الدين، والموعظة والتحسيس بمخاطر الانحرافات التي تنخر جسد المجتمع. ثم انتقل للتدريس في المدرسة الرسمية، وبعدها المدرسة الثعالبية. وبالإضافة إلى التعليم ساهم بمقالاته في عدة صحف. وافته المنية في 2 جوان 1933. ودفن بمقبرة عبد الرحمان الثعالبي. ينظر: جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة ... مرجع سابق، ص. 46 – 59. أيضا: دبوز، نهضة الجزائر، ج.1... مرجع سابق، ص. 106 وما يليها. أيضا: بن عدّة، مرجع سابق، ص. 72 – 74.

[194] – صاري، المرجع نفسه، ص. 46 - 47

والمترجمين وغيرهم. وفي سنة 1905 انتقل إلى المدرسة الثعالبية التي كان التدريس فيها باللغة العربية، ثم أصبحت مزدوجة اللغة بعد أن أضيفت الفرنسية سنة 1906، حيث درس فيها الأدب باللغة العربية في القسم العادي، والمنطق، والبيان، والتفسير، والإنشاء الأدبي في القسم العالي [195].

تمحورت دروسه بصفه عامة حول اللغة العربية، والعلوم الدينية والشرعية، إضافة إلى دروس الوعظ التي تهدف أساسًا إلى التحسيس بالمخاطر الاجتماعية، كالانحراف، واكتساب العادات السيئة الدخيلة على الدين الإسلامي، ورغم أنه كان مثقف باللغتين العربية والفرنسية إلا أنه كان دائم الدعوة إلى التمسك باللغة العربية، والثقافة الإسلامية [196].

كان ابن سماية مؤمنا بأن نهضة المجتمع، وسبل انتشاله من براثن التخلّف لن تتجسّد إلا بتكريس الجهود لمواجهة الكسل، والتحجج بالأوضاع والظروف، وخوض حملة صادقة تستهدف محاربة الأمية، وتشجيع العلم، وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الأولياء الذين لا يهتمون بتعليم أولادهم، ويجهلون فوائده ومحاسنه، فحثّهم على ضرورة مشاركتهم للمعلم في مهمة التعليم، وتخصيص وقت لمجالسة أولادهم ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم في دراستهم، وابتعادهم عن أسلوب الزجر والتعنيف في التربية لانعكاساته السلبية عليهم [197]. مزج في ممارسته للتعليم بين أسلوب تقليدي نابع من التراث العتيق، والآخر يميل إلى العصرنة.

ظلّ ابن سماية منافحا عن الشخصية الجزائرية، ومتصديا لكل محاولة تستهدف المساس بها. كما كان موقفه حازما ضد التجنيد الإجباري الذي فرضته إدارة الاحتلال، ونبّه وحذّر من سياسة الإدماج، وهو ما لخّصه في كلمته أثناء تجمّع ببلدية الجزائر في 9 سبتمبر 1911، عندما صرّح قائلا: (إن الحرية والحقوق السياسية المهداة للمسلمين صارت ضربة قاضية لرابطتكم الروحية الراهنة، حيث أن المستفيدين منها سيصبحون مندمجين تماما في الشعب الفرنسي) [198].

---

[195] – مراد، بن حمودة، "**المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866. 1933م)**"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج 03، ع 06، ديسمبر 2017، ص. 104.

[196] – جيلالي، صاري: مرجع سابق، ص53.

[197] – بن عدّة، مرجع سابق، ص. 73 – 74.

[198] – صاري، مرجع سابق، ص. 63.

كما دعا للتضامن والوحدة الإسلامية، وحذّر من شقاق المسلمين ومخاطر ذلك عليهم، ومن فتنة الأمة في دينها حصنها المنيع، فكان من دعاة الجامعة الإسلامية في الجزائر، والمتأثرين بمحمّد عبده، الذي زار الجزائر في سبتمبر 1903، وكان ابن سماية أحد مضيفيه[199]، واتخذ من مجلّة المنار التي يصدرها الشيخ محمّد عبده متنفسا له من خلال المقالات التي كان ينشرها به. كما شارك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر سنة 1905م.[200]

كرس ابن سماية شبابه، وعقود من حياته في التدريس لخدمة العلم والتعليم، ووهب نفسه للإبداع والتجديد من أجل تعليم يستجيب لمتطلبات العصر، وكان محتكا ومتصلا بمجتمعه، فتألّم لوضعه السيئ بسبب المستعمر، وطمح بحرقة إلى تخليصه من وضعه، وأمل أن يظلّ متمسّكا بقيّمه وأصالته وهويته. ومن أجل تلك الغاية والأمل كثّف ابن سماية نشاطه الإصلاحي ودروسه ومواعظه، ومن خلال مقالاته ونشاطه الصحفي، وربط اتصالات بشخصيات داخل وخارج الجزائر.

وبالإضافة إلى التدريس والنشاط الصحفي ونشر الموعظة اهتم بالتأليف على غرار معاصريه، وانفرد عنهم حين ألّف في الفلسفة الإسلامية.كانت كتاباته كثيرة ومتشعبة، لم ينشر منها سوى ما تعلّق بالأعمال الأدبية التي تعالج المشاكل الاجتماعية في تلك الفترة، ونشر معظمها في الصحف التي كانت في الجزائر كمجلة "كوكب إفريقيا" وجريدة " الإقدام". ومن بين مؤلفاته: فلسفة الإسلام. اهتزاز الأطواد والربا من مسألة تحليل الربا وهي رسالة طبع سنة 1911. الكنز المدفون والسر المكنون والعديد من المقالات التي تحدث فيها عن المجتمع والأخلاق والدين[201] .

– محمد بن رحال [202]:

---

[199] – سعد الله، الحركة الوطنية ... مرجع سابق، ص. 149. ينظر أيضا: بن عدّة، مرجع سابق، ص. 74.

[200] – آسيا، تميم، **الشخصيات الجزائرية، 100 شخصية**، دار المسك للنشر، الجزائر، 2018، ص. 50.

[201] – جيلالي صاري، مرجع سابق، ص. 60.

[202] – ولد بتاريخ 16 ماي 1858 بندرومة بدأ دراسته في المدرسة القرآنية ثم المدرسة الابتدائية الفرنسية–العربية، وبداية من سنة 1870 التحق بالدراسة الثانوية في الجزائر العاصمة بالمعهد العربي الفرنسي، ثم في ثانوية الجزائر، وبها تلقى تعليمه باللغة الفرنسية، كما أتقن اللغة العربية. أصبح أول شاب جزائري يتحصل على شهادة البكالوريا بعد أن درس بباريس وتحصل عليها.كان عضوًا في جمعية دينية إسلامية (جمعية درقاوة)، ثم أصبح مقدمًا للزاوية السليمانية، كما أمضى فترة قصيرة في الإدارة الاستعمارية حيث عين سنة 1876م خليفة لوالده كواعظ في المسجد الكبير، واستقال منه سنة 1891، وافته المنية يوم 6 أكتوبر 1928م. ينظر:

رجل علم ودين، ونائب مالي برلماني، وسياسي، ومفكر وأديب، ومقدّم زاوية. كان من ضمن الأوائل الذين تجنّدوا للدفاع عن التعليم القرآني، فهو يعتبر بأن بتعليمه تكتمل شخصية الإنسان المسلم، وتتهذب أخلاقه. كما دافع عن اللغة العربية التي أصبحت غريبة في موطنها، وانتقد التعليم الفرنسي معتبرا بأنه لا جدوى منه بالنسبة للأهالي. كان مؤمنا بالتجديد والانفتاح على العصر لكن بحذر وانتقاء، ومن أجل ذلك استغل انعقاد مؤتمر المستشرقين بباريس عام 1897 لعبّر عن فكره الرامي إلى التجديد وفق المنظور الإسلامي، مدافعا عن الإسلام وقدرته على التطور [203]، فعبّر قائلا: (لا يجب أن نقبل بعيون مغمضة ما تقدّمه لنا الحضارة من هدايا، فبعضها يمكن تركه، لكن الكثير منها يمكن استعارته دون خطر من أجل إفادتنا) . ويتضح من خلال فكرته أنه يؤمن بأن نهضة المسلمين تتحقّق بالاعتدال وانتقاء ما يفيد من حضارة العصر، وترك ما لا ينفع أو لا يتوافق مع الثقافة الإسلامية، والابتعاد عن التعصّب.

كان من النخبة مزدوجة التعليم، فرغم أنه توظف عن الفرنسيين، وتعلم اللغتين والثقافتين العربية والفرنسية فإنه ظلّ متمسكا بأصوله وتراثه الوطني والديني، وكان بمثابة صوت الجزائر العميقة مدافعا عن الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وهي الثقافة التي حصّنته من الذوبان في الثقافة الفرنسية وينبهر بنظمها ومخترعاتها، فدعا إلى التطور والتجديد لا إلى الاندماج، وواجه الفرنسيين في مختلف المناسبات وبكل الوسائل بمطالب من صميم الشعب الجزائري. برز نشاطه السياسي منذ سنة 1891 عندما طالب أمام اللجنة الثامنة عشر لمجلس الشيوخ بضرورة إصلاح القضاء، والنظام العقاري، وقانون الأهالي، ووجوب تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي [(204)]. وفي عام 1912 وعلى إثر سن فرنسا قانون التجنيد

عاشور، شرفي، **معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)**، تنسيق ومراجعة مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص.257. أيضا: عبد القادر جغلول، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة، لبنان، 1984، ص.40 - 41.

[203] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830 – 1954**، ج. 6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 225.

[(204)] عاشور، شرفي، مرجع سابق، ص.257.

الإجباري، فعارضه بشدّة، وتوجه إلى باريس على رأس وفد جزائري لأجل إلغائه. كما تجنّد ضد قانون الأهالي وطالب بإلغائه [205].

– محمد بن مصطفى بن الخوجة [206]:

يعد أحد أقطاب التجديد والإصلاح وأعلام النهضة الجزائرية، زاوج بفكره بين الأصالة والمعاصرة، صخّر جهوده لنشر الوعي، وتنوير المجتمع، وتحرير العقل من الجمود الفكري، متأثرا في ذلك بأفكار روّاد النهضة التي كانت تجري بالعالم الإسلامي أمثال محمّد عبده. ارتكز فكره الإصلاحي على محورين أساسيين لكلّ إصلاح سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، وهما التعليم والتربية.

أما الآليات التي اتخذها والسبل التي انتهجها من أجل نشر فكره وتجسيد مشروعه الإصلاحي، تتمثّل أساسا في:

أ – التعليم المسجدي، كونه التعليم المزدهر آنذاك والمنتشر والمتاح للجزائريين [207]، فاتخذ محمّد بن مصطفى من المسجد منبرا لنشر أفكاره، وتوعية الجزائريين، ومواجهة البدع والخرافات، والدعوة لرفض الجمود والتقوقع، وتحرير العقول من التعصّب والجهل [208].

ب – الصحف والجرائد، التي استغلها لنشر مقالاته التي تحمل عصارة فكره ومشروعه الإصلاحي، فهو كان قد اشتغل في جريدة " المبشر" قرابة 15 عاما، فنشر فيها 53 مقالا تضمّنت مواضيع اقتصادية

---

[205] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ... مرجع سابق، ص. 223 – 225.

[206] – ولد في كنف عائلة تركية مشهورة بمدينة الجزائر في 4 جانفي 1865، وبها حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقه. إضافة إلى الحضور الحر للدروس في المساجد. تتلمذ على يد عدد من الشيوخ البارزين آنذاك، أمثال ابن الحفاف، وابن زكري. عيّن حزّابا بالجامع الأعظم عام 1880، ثم نقل إلى الجامع الجديد عام 1884. وفي عام 1886 عيّن كاتبا بإدارة الوالي العام، ثم اشتغل محررًا للغة العربية في جريدة المبشر ما بين (1886 –1901م)، وفي سنة 1895 عُيّن مدرسًا في جامع السفير، ليتم نقله سنة 1910 إلى التدريس في الجامع الكبير، وما إن جاءت سنة 1913 حتى عين وكيلا على ضريح عبد الرحمن الثعالبي. وافته المنية يوم 9 أوت 1915 بمدينة الجزائر. ينظر: محمد بن مصطفى خوجة، **أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة (1283–1333هـ / 1865–1915م)** ، جمعه على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2012، ص. 09 – 11. أيضا: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض للثقافة، لبنان، ط. 2، 1980 ص. 138.

[207] – سعد الله، الحركة الوطنية ... ج.2، مرجع سابق، ص. 60.

[208] – بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1830 – 1954، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص. 422. ينظر أيضا: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ... ج.5، ص. 62.

(زراعة، سلالات المواشي، نباتات...)، مواضيع اجتماعية ودينية، وعدّة مرثيات في شخصيات فرنسية، أو لعلماء مصلحين. غير أن كتاباته في جريدة المبشر لم تكن تعبّر عن ما يختلج فكره باعتبار أنها جريدة استعمارية رسمية، وهو كان موظّف حكومي. ولما عزلته الإدارة الاستعمارية من جريدة المبشر بسبب علاقته بزعماء الإصلاح بالمشرق، ساهم مع ثلّة من العلماء (المجاوي، ابن سماية، وبن بريهمات ...) في تأسيس "جريدة المغرب" التي اتخذ منها متنفسا لأفكاره، ومنبرا لمشروعه الإصلاحي [209].

ج – مؤلفاته الغزيرة، فهو بالإضافة إلى تكوينه العلمي استلهم أفكاره من رواد النهضة في العالم الإسلامي، وكان مطلعا على منشوراتهم الفكرية النهضوية، وتعمّق بدراستها، وهو ما ساهم أكثر في تطوير أفكاره وفي ثراء رصيده الفكري الذي انصب على مواجهة البدع، والمعتقدات الفاسدة، والعمل على إحياء تعاليم الدين الصحيحة، واللغة العربية، وتنوير عقول الشباب، وهي أفكار أقلقت سلطات الاحتلال التي ضيّقت عليه، وصادرت مكتبته [210]. ومن أهم ما ألّف:

– الاكتراث بحقوق الإناث، طبع بالجزائر سنة 1895.

– تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان. طبع بالجزائر سنة 1896م.

– اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب. طبع بالجزائر سنة 1907م.

– إقامة البراهين العظام في نفي التعصب الديني في الإسلام. طبع بالجزائر سنة 1902م.

– عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر، طبع في الجزائر سنة 1902.[211]

– السمط الدري في مسائل تتعلق بالجدري.

– مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة، 1902.

– نشر الجواهر الحسان في تفسير القران لعبد الرحمن الثعالبي [212].

---

[209] – فاطمة بن يوسف، عبد الباسط قلفاط. "الشيخ محمّد بن مصطفى بن الخوجة وجهوده الإصلاحية في الجزائر (1865 – 1915) من خلال وثائق جديدة"، **مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلّد 6، العدد 1، 2022، ص. 302 – 318.

[210] – جيلالي صاري، مرجع سابق، ص. 38.

[211] – محمد بن مصطفى، المصدر نفسه، ص. 10.

[212] – محمّد دويب، **الأعمال الكاملة لمحمّد بن مصطفى بن الخوجة**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012، ص. 6. ينظر أيضا: نويهض، مرجع سابق، ص. 138.

ومن أبرز القضايا التي ركّز عليها محمّد بن مصطفى في مشروعه وجهوده الإصلاحية، قضية المرأة، سواء في دروسه أو خطاباته، وألّف في هذا الشأن كتابه " الاكتراث في حقوق الإناث" وكتاب " اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب" تطرّق فيها لممارسات الاستعمار في حقها، ودعا إلى ضرورة إصلاح وضعها وإعطائها حقوقها حتى تكون قادرة على أداء واجباتها التربوية تجاه الأسرة والمجتمع، وفق ما تقرّه الشريعة الإسلامية، كحقها في التعليم، وفي الميراث، والزواج، والصداق. كما كان من الأوائل الذين نادوا إلى تعليم المرأة، فجهلها يهدم الأسرة والمجتمع، ويحمّل مسؤولية جهلها للرجال الذين أهملوا تعليمها حتى انجرفت للخرافات والاستفهام عن المغيبات، وتقديم النذور للأضرحة، والفسوق وغيرها من السلوكيات المنحرفة، وانتقد السلوكيات والعادات التي تقمع المرأة أو تمس كرامتها، واعتبر أن تدهور العلاقات الزوجية كان بسبب غياب الاحترام المتبادل بين الزوجين وحلّت محله الشقاق والغلظة [213].

أما الجانب الثاني الذي ركّز عليه جهده هو الاهتمام بالعلم والتعليم، فكان يصبوا لإحداث ثورة إصلاحية للنهوض بواقع الشعب الجزائري الذي كان يعاني من الجهل والأمية اللذين فرضهما المحتل. لذلك ألحّ على تعليم الرجل والمرأة [214]. كما شجّع على تعلّم العلوم الدينية، واللغة العربية، واللغات الأجنبية، والعلوم الدنيوية المفيدة كعلم العمران، والتاريخ، والحساب، والطب وغيرها [215].

كما دعا إلى الاهتمام بالصحة وإصلاح حالها، خاصة في ظلّ تدهور الوضع الصحي بالجزائر، والانتشار الواسع للأمراض والأوبئة الفتاكة بين الجزائريين. فحاول في كتابه " تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان" أن يظهر أهمية الاعتناء بالصحة البدنية والنفسية، وعرض طرق الاحتراز والوقاية من الأمراض والأوبئة، وألح على ضرورة إقامة المحاجر الوقائية، وتطرّق إلى الأساليب الناجعة

---

[213] – محمّد بن مصطفى بن الخوجة، **الاكتراث في حقوق الإناث**، فونطانة، الجزائر، 1895، ص. 21 – 22. 52 – 57.

[214] – نفسه، ص. 90 – 104.

[215] – محمّد بن مصطفى بن الخوجة، **مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة**، بيير فونطانة، الجزائر، 1902، ص. 220 – 232.

للتداوي في ظل إهمال المستعمر للتكفل بصحة الجزائريين، كما أشار للمهمة النبيلة التي يضطلع بها الطبيب، والأخلاق التي يجب أن يتصف بها [216].

– الشيخ محمّد السعيد بن زكري [217].

العلامة المحدث، المفتي المالكي بالجامع الكبير بمدينة الجزائر، كرّس حياته وجهده للتعليم والإرشاد والإفتاء، والخطابة [218]. نشر فكره التجديدي الإصلاحي في المساجد، ومن خلال أنشطته في الجمعيات الثقافية، دوّن أفكاره بعض في حقل التربية والتعليم، وإصلاح منظومة الزوايا خصوصا في كتابه " أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل". دعا أيضا الشيخ محمّد السعيد في كتابه وفي محاضراته خصوصا محاضرته بعنوان " الإسلام واللغات الأجنبية " إلى ضرورة انتهاج التعاليم السمحة التي تحثّ المسلمين على تعلّم اللغات والإلمام بالعلوم العصرية للخروج من حالتهم المتخلّفة والمتدهورة [219].

وقد تركت جهوده النهضوية أثرا في تلامذته والمطلعين على محاضراته ومؤلفاته، فساهم بذلك في تكوين نخبة ستسير على دربه النهج الإصلاحي والتجديدي، أمثال أبو يعلى الزواوي، وعبد الحليم بن سماية، ومحمّد بن مصطفى بن الخوجة، والسيد الحسيني محمّد الحاج بن عيسى، وغيرهم [220].

والإضافة إلى هذه الشخصيات التي أعطينا لمحة عن فكرها، وجهودها الإصلاحية، ودورها في اليقظة الجزائرية مطلع القرن العشرين، كانت هناك شخصيات فذّة أخرى ساهمت في بناء أرضية للوعي

---

[216] – فاطمة بن يوسف، عبد الباسط قلفاط، مرجع سابق، ص. 302 – 318.

[217] – ولد سنة 1851 في بني زكري بمنطقة القبائل، كان عصاميا في تعليمه الذي تم في المساجد والزوايا، فقد حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بزاوية سيدي عبد الرحمان البلوي، وفي عام 1886 دخل مدينة الجزائر ودرس بزاوية سيدي محمّد الشرف. ثم عيّن مدرسا بالجامع الكبير، ثم إماما بجامع سيدي رمضان. وفي سنة 1896 عيّن أستاذا لأصول الفقه بالمدرسة الحكومية. وفي سنة 1908 تولى الإفتاء المالكي. وافته المنية سنة 1914. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ... مرجع سابق، ج.3، ص. 97 – 99. أيضا: يحي بوعزيز، **تاريخ الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص. 308.

[218] – يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 308.

[219] – بن عدّة، مرجع سابق، ص. 71.

[220] – نصيرة بوجلول، عبد الغفار بن نعمية، **"تحليل وثيقة فقهية لابن زكري المالكي (1914) حول صحّة الوقف"**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلّد 13، العدد 1، جوان 2018، ص. 366.

السياسي أمثال محمّد بن أبي شنب، وصالح مهنا، وعمر بن قدور، وأمحمّد أطفيش، وحسن بن بريهمات، وأبو القاسم الحفناوي، وعمر راسم، وغيرهم.

يتجلى من خلال هذا أن بداية الإصلاح انحصرت عموما بصورة حذرة ومحتشمة في الكتابات والدروس، وحتى خطابات للوعظ، إلا أنها كانت بداية لعهد جديد ينم عن مسايرة الجزائر وعلمائها لحركية النهضة الحاصلة بالعالم الإسلامي والغربي [221].

وعلى العموم كانت هناك ملامح مشتركة بين أفراد هذه الكتلة المحافظة، فقد كانوا متحمسين للوطنية والحفاظ على الشخصية الجزائرية، ويدعون للجامعة الإسلامية وأفكارها، وعارضوا بشدة سياسة التجنيس، والخدمة العسكرية الإجبارية، والاندماج. ومن خلال نشاطهم ومطالبهم يتبين أن برنامجهم الذي لم يكن محددا يتمحور حول: المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والكولون، وفي الضرائب، وعائدات الميزانية. ومعارضة التجنيس والتجنيد الإجباري، وإلغاء قانون الأهالي وكل القوانين التعسفية، والعودة للعمل بالنظام القضائي الإسلامي، واحترام عادات وتقاليد الجزائريين، وتعليم اللغة العربية، وحرية الهجرة نحو المشرق [222].

[221] – أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص. 33.

[222] – سعد الله، الحركة الوطنية ... مرجع سابق، ص.146.

المحور 06 :
ظهور حركة مطلبية (حركة الشبان الجزائريين).

نتيجة لعوامل جديدة طرأت على الساحة الوطنية ظهرت حركة اجتماعية مطلبية شبه سياسية منفتحة، مثّلتها نخبة من الشباب المثقف ثقافة عصرية، سميت بحركة الجزائر الفتاة، أو حركة الشبان الجزائريين [223]. ضمّت كوكبة من المتعلمين في المدارس الفرنسية، الحائزين على تعليم ثانوي وجامعي منهم أطباء، وصيادلة، وقضاة، ومحامون، ومعلمون، وصحافيون، وموظفون، وكبار التجار، كان أغلبهم متجنس [224].

أطلقت على هذه الجماعة عدّة تسميات، منها جماعة النخبة، والشبان الجزائريين، على نمط الحركات التي ظهرت آنذاك بالعالم كالشبان الأتراك، والشبان المصريين، والشبان التونسيين، وأطلق عليهم البعض مصطلح الليبيراليين، وأطلق عليهم البعض الآخر مصطلح الأنتليجانسيا [225]. كان عدد هذه النخبة ضئيلا، مقارنة بعدد سكان الجزائر آنذاك (ما يقارب 3 ملايين و 8 آلاف نسمة)، وذلك بسبب الاضطهاد والتضييق الذي مارسته إدارة الاحتلال على الجزائريين، وسياسة التجهيل، فنسبة الجزائريين المتعلمين إلى غاية 1930 لم تتجاوز 8 %، ولم يتعد عدد الجزائريين المثقفين 450 مثقفا، أما عدد الحاملين للشهادات لم يكن إلى غاية 1910 يتعدّى 25 فردا. وإلى غاية 1939 لم يتجاوز

---

[223] – التسمية مستوحاة من حزب تركيا الفتاة، الذي اتخذته عدة أحزاب في الأمصار العربية، كمصر الفتاة، وتونس الفتاة. وهو حزب تقدمي قومي ظهر بالأستانة أواخر القرن التاسع عشر.

[224] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.4، 1992، ص. 167. ينظر أيضا: شريف بن حبيلس، **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، ترجمة عبد الله حمادي وآخرون، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 93 – 95.

[225] – أحمد مهساس، **الحركة الوطنية من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة**، ترجمة الحاج مسعود مسعود ومحمّد عباس، منشورات الذكرى الأربعين للستقلال، الجزائر، 2002، ص. 37 – 38.

200 فرد [226]. أما عدد المنخرطين في صفوف حركة الشبان، أو في نواديها وجمعياتها لم يتعد 1200 منخرط، وأقل بكثير بالنسبة للأعضاء الفعليين [227].

عبّر مصطلح "الشبان الجزائريون" عن نخب جزائرية، تختلف عن النخب التي سبقتها المتكونة من الأعيان المحافظين ذوي الثقافة المزدوجة في نمط العيش والتفكير، فتكوينهم في المدارس الفرنسية واحتكاكهم بالمجتمع الكولونيالي جعلهم ينتهجون نمط عيش، وسلوكيات وأساليب تفكير عصرية، ورؤية جديدة تجاه العديد من القضايا، وأساليب تغيير قائمة على وسائل تختلف عن أساليب سابقيهم من الأعيان، قائمة على ضرورة الأخذ بالحداثة القائمة على العلم والحرية والقيّم الإنسانية [228]، وهو ما سهّل عليهم الاحتكاك بالمثقفين والأحرار الفرنسيين، فكانت هذه النخبة الجديد "الشبان الجزائريون" مطلعة على أسرار السياسة، وعلى أساليب أصحابها، ومدركون لمأساة المسلمين الجزائريين، وآثار السياسات الاستعمارية عليهم، شاعرين بهمومهم وآلامهم [229].

وهذا الإطلاع على أساليب السياسة ومشاكل شعبهم، وقدرتهم على التأثير في الآخرين مكّنهم من رسم أهداف نضالهم بذكاء من أجل تطوير المجتمع الجزائري، ومواجهة الوضع القائم، والدعوة لتغييره. فكانت نخبة شابة لها رؤية مختلفة لقضايا شعبها وإن اختلفت مستوياتهم، ووظائفهم، فهي تشكّلت من المفكرين، والكتاب، والأطباء والمهندسين، ورجال القانون، والصحفيون، ورجال الأعمال فلم يكن السن هو العامل المحدّد لهذه الفئة بقدر ما كان نمط الثقافة، والفكر والقيّم، والطموحات والأهداف الرابط المشترك بين أفرادها [230].

---

[226] - Colonna, Fanny, **Instituteurs Algériens 1883 – 1939**, OPU, Alger, 1975, p. 50

227 - Charles Rebert, Ageron, **le mouvement jeune Algériens de 1900 – 1923**, bulletin de la societé moderne , n°2, 1962, p. 9.

[228] – صافر فتيحة، "**ظهور حركة الشبان الجزائريين**"، عصور الجديدة، المجلد 8، العدد 1، شتاء – ربيع 2017 – 2018، ص. 157.

[229] – يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 – 1939**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص. 11.

[230] – صافر فتيحة، مرجع نفسه، ص. 158.

كانت حركة الشبان الجزائريين تهدف إلى تحرير الجزائريين من اضطهاد الإدارة الاستعمارية، وتعسّف المستوطنين بطرق سلمية وسياسية، مستعملة في الغالب وسائل غربية في نضالها، فهي أرادت التخلص من السياسة الاستعمارية بطرق جديدة، كونها اقتنعت بعدم جدوى اللجوء إلى الثورات غير المنظمة، فهي من خلال احتكاكها بالمجتمع الفرنسي والغربي اعتقدت أنه يمكن للنضال السياسي والاعتماد على المبادئ والمواثيق الإنسانية الغربية أن يحمل فرنسا على تطبيق هذه المواثيق والمبادئ التي تتغنى بها [231]. فكانت هذه النخبة تفرّق بين فرنسا الاستبدادية وفرنسا الديمقراطية، فاستعانت بالأولى ضدّ الثانية، وحاولت استمالة الليبيراليين الفرنسيين والجمهوريين إلى صفّها لمواجهة تسلّط الكولون واضطهاد السلطة الفرنسية. هاجمت هذه النخبة النخب الجزائرية المحافظة من علماء وأعيان، معتبرة إياهم رجعيون، وأنهم حاجز في طريق التقدّم والحياة الحديثة، وخاضت حملات ضدّ العادات القديمة والطرقية، والخرافات، والتعصّب. وفي الوقت نفسه هاجمت الكولون الذين اتهمتهم بالتسلط، والعنصرية والاستبداد المخالف للقوانين والقيم الفرنسية [232].

بدأت هذه الحركة تلعب دورا مهما في توجيه الوعي السياسي المحلي، وإحداث حركة فكرية من خلال دورها في الإنعاش الثقافي، والتحريض السياسي، وبذلك تكون أول حزب سياسي صغير ظهر بالجزائر، لكن قُدّر له أن يكون قصير العمر. وتقبلت هذه الحركة بعض السياسات التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية، كفرض الخدمة الإلزامية على الجزائريين، لكنها طالبت بتوسيع تمثيل الجزائريين في المجالس المنتخبة، أي أنها بدأت منذ عام 1909 تركز جهودها على التعويضات المعنوية والسياسية التي ينبغي الحصول عليها من تطبيق التجنيد الإلزامي [233]. كما طالبت بتطوير التعليم الجزائري وتوسيعه، وإلغاء الضرائب المفروضة فقط على الجزائريين، والقوانين الاستثنائية العنصرية خصوصا قانون الأهالي، أي طالبت بالمساواة في الحقوق والواجبات بين الأهالي والأوربيين، غير أنها رفضت قانون التجنيس الذي يشترط تنازل المجنس الأهلي عن أحواله الشخصية، فطالبت بإلغاء هذا الشرط [234].

---

[231] – صافر فتيحة، مرجع سابق، ص. 159.

[232] – سعد الله، الحركة الوطنية... مرجع سابق، ص. 162.

[233] – محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830 – 1954**، ترجمة محمّد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.

[234] – سعد الله، المرجع نفسه، ص. 163.

تمكن أعضاء هذه الجماعة النخبوية المثقفة من توعية الجزائريين وطرح قضيتهم أمام الرأي العام الفرنسي، فأرسلوا في 27 ماي 1912 عريضة هامة إلى الحكومة الفرنسية والمجلس الوطني الفرنسي أكدوا فيها على أن قانون التجنيد الإجباري معادي للديمقراطية كونه مفروضا، وعلى الفقراء فقط، ولا يسوي بيت الجزائريين الذين تُفرض عليهم مدة الخدمة ثلاث سنوات، والأوربيين الذين تفرض عليهم سنتين فقط. كما أنه غير عادل كونه فرض واجبات جديدة على الجزائريين دون إعطائهم الحقوق السياسية والمدنية التي يتمتع بها الفرنسيون. وتضمنت العريضة مطالب واقتراحات، تمحورت حول بناء قانون يضمن الحرية والعدالة والمساواة، وإلغاء قانون الأهالي العنصري، والمحاكم الزجرية، والمساواة في كل المجالات خصوصا فيما يتعلق بالمسؤولية، والضرائب والتمثيل النيابي للجزائريين في جميع الهيئات بما فيها المجلس الوطني الفرنسي بباريس [235].

وفي 26 جوان 1912 شكّلت هذه الحركة وفدا [236] اتجه صوب فرنسا، حاملا عريضة أطلق عليها " بيان الشباب الجزائري" قدّمت لرئيس الوزراء " ريموند بوانكاريه" [237]، تمحورت حول التأكيد على أن الأهالي مستعدون لأداء الخدمة العسكرية مقابل تحسين حالة الجزائريين، والمساواة مع الفرنسيين، والتمثيل الحقيقي للأهالي في المجالس السياسية والمالية الجزائرية والفرنسية، وتحقيق العدالة في توزيع الضرائب ومداخيل الميزانية. ويتجلى بوضوح من خلال مطالب هذه العرائض العديدة التي رفعتها هذه الجماعة من النخبة المتنورة أنها طغت على مطالب جماعة المحافظين [238].

ورغم أن هذه الحركة المطلبية المعتدلة كان على رأس اهتماماتها تحسين ظروف معيشة المسلمين وتحقيق المساواة طبقا للسياسة الرسمية ومبادئ الجمهورية الفرنسية، معتقدة بأن مواقفها هذه ستؤهلها تدريجيا للاستفادة من نفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون، فإن الاستعمار كان يتخوف من تسرب الأفكار التحررية الجديدة التي تبثها الحركات الوطنية في المشرق وتونس وغيرها، لذلك كان يتوجس من

---

[235] – شريف بن حبيلس، مصدر سابق، ص. 149 – 166.

[236] – – تشكّل الوفد من الدكتور ابن التهامي النائب عن الجزائر العاصمة، ورئيسا للوفد. ومختار حاج سعيد، الدكتور موسى، ابن علاوة عن قسنطينة. الحاج عمّار عن جيجل. جودي عن بسكرة. ابن عثمان عن سرايدي. ابن ددوش عن تلمسان. وقارة علي عن عنابة، وغيرهم من النواب والشخصيات المثقفة. ينظر: سعد الله، مرجع سابق، ص. 183.

[237] – أحمد الخطيب، **حزب الشعب الجزائري، ج.1**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 15 – 25.

[238] – يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص. 12.

أن تحمل حركة الشباب الجزائري في طياتها الإرهاصات التي سترتكز عليها الحركة الوطنية الجزائرية في تطورها، فاتهم أعضائها بأنهم وطنيون مناهضون لفرنسا، وعمل على محاربتها والتضييق عليها سعيا لتحطيمها [239].

وعقب نهاية الحرب العالمية الأولى وعلى إثر إصلاحات وانتخابات 1919 ستعرف هذه الحركة أزمة ستؤدي بها إلى التمزق والانقسام، وينبثق عنها تياران، أحدهما ليبيرالي تزعمه الدكتور " ابن التهامي" ظلّ يثق في السياسة الفرنسية، ويدعوا إلى الاندماج والمساواة، وتيار أصبح يناضل من أجل الحفاظ على الشخصية الوطنية، ورفض كل سبل الاندماج، كالتجنيس وغيرها من السياسات التي تصب في هذا المسعى، تدعوا إلى المساواة دون الإدماج، مثّله " الأمير خالد".[240].

وفي الأخير نخلص إلى أن الحركية الثقافية والاجتماعية المطلبية التي ظهرت مطلع القرن العشرين أدت إلى تبلور وعي سياسي لدى شريحة معتبرة من الجزائريين، وأفرزت كتلتين إيديولوجيتين سياسيتين أساسيتين، أولها محافظة ذات توجه إسلامي، نشطت من أجل الدفاع عن مقومات الشعب الجزائري الحضارية، واستهدفت تحسين أوضاع الجزائريين ومساواتهم بالفرنسيين مع الحفاظ على أحوالهم الشخصية. والكتلة الثانية مثلتها نخبة مثقفة متأثرة بالثقافة الفرنسية لكنها مرتبطة بشعبها، فسعت إلى ترقيته، ومساواته مع الفرنسيين.

---

[239] – محفوظ قداش، مرجع سابق، ص. 238.

[240] – أحمد مهساس، **الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلّحة**، ترجمة الحاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص. 45.

المحور 07 :
التجنيد الإجباري وآثاره على الجزائريين.

عملت فرنسا منذ احتلالها للجزائر على نهب طاقات البلاد الاقتصادية واستنزاف ثرواتها، وتسخيرها لصالح اقتصادها، بالإضافة إلى محاولة تجنيد الطاقات البشرية الجزائرية خصوصا الشباب في حروبها، فأسست عدّة فرق عسكرية محلية لاستخدامها في استكمال احتلال الجزائر، أو في حروبها الخارجية [241]. كما سنّت عدّة قوانين تمكّنها من استغلال الشباب الجزائري من خلال التجنيد الطوعي خاصة في ظل حاجتها الماسة لأعداد كبيرة من الجنود في ظل توتر العلاقات الأوربية، وحروب فرنسا التوسعية في العالم.

- سوابق فكرة ومشروع التجنيد الإجباري:

تعود محاولات فرنسا لإدماج الجزائريين في صفوف جيشها لبدايات احتلالها للجزائر، فبالإضافة إلى تأسيسها لفرق عسكرية محلية، سنّت قوانين لتجنيد الطاقات البشرية الجزائرية في حاجاتها الحربية طواعية في البداية، لتتحول فيما بعد إلى مشروع تجنيد إجباري، بداية بمشروع الجنرال (موليار - Molliere) سنة 1845 الذي نص على تجنيد 200 ألف رجل، تلاه سعي الإمبراطور نابليون الثالث في إطار سياسته الرامية إلى إدماج الجزائر في فرنسا، الذي اهتم بتجنيد الأهالي، معتبرا أن أهم ما تقدّمه الجزائر لفرنسا هو جنود أشداء، خصوصا بعدما انبهر بصلابة فرقة القناصة الجزائرية [242]، ومن أجل ذلك طلب من وزيره للشؤون الخارجية في جويلية 1866 تشكيل كتيبة عسكرية من المجندين

---

[241] - أشار إلى هذه الفرق بالتفصيل: محمّد الصالح بجاوي، **متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830 – 1918**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص. 33 – 165.

[242] - نفسه، ص. 165.

الجزائريين تدمج في الجيش الفرنسي، على أن تكون مدة الخدمة أربع سنوات، وأن ينقل الجندي إلى أي مكان يوجّه إليه، ويستفيدون من تكوين عسكري فرنسي [243].

ثم قرّرت فرنسا في الفترة ما بين (1881- 1882) إنشاء جيش كبير في إفريقيا تعداده بين 200 ألف و 300 ألف جندي. كما جعلت الإدماج والحصول على الأحوال الشخصية كشرط أساسي للذين ينضمون إلى الجيش وأداء الخدمة العسكرية بموجب قانون 15 جويلية 1889، ليقوم (شوتان ـ Chantemp) في 1900م بوضع مشروع ينص على تجنيد الأهالي القادرين على حمل السلاح، إلا أن مجمل هذه القوانين لم تطبق بسبب رفضها.[244]

واستمرت فرنا في مشاريعها لتجنيد الجزائريين، ففي 11 جويلية 1903 سنت مشروع نص على تنظيم جيش احتياطي من الجزائريين، معتبرة الجزائر خزان بشري لحاجاتها الحربية، وهو ما عبّر عنه الحاكم "جونار Jounard" أمام لجنة الدفاع الوطني الفرنسية في مجلس الشيوخ سنة 1904 قائلاً: "...يوجد في الضفة الأخرى من البحر المتوسط خزان بشري معتبر أهملناه، يمكنكم تجنيد آلاف المتطوعين من الأهالي من شئتم". واقترح بأن تقوم وزارة الدفاع بتجنيد عدد كبير من الجزائريين من أجل تدعيم الجيش الفرنسي [245].

ومثّلت سنوات 1907 – 1908 ذروة تفكير فرنسا في استخدام الأهالي بشكل مكثّف في احتياجاتها الحربية، ومنعرجا حاسما في سياسة التجنيد التي ستمهد لقانون التجنيد الإجباري لعام 1912، فقد أعاد مسؤول ميزانية الحرب (ميسيمي ـMessimy) مشروع تجنيد الجزائريين إلى الواجهة بتأكيده على مدى حاجة فرنسا للجزائريين من أجل تكوين جيش كبير [246]، وهو ما عبّر عنه بقوله: "... يجب ألا تنكر فرنسا حاجتها إلى اللجوء للسكان الأصليين في الجزائر للاحتفاظ بجيش

---

[243] – مصطفى الأشرف، **الجزائر، الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص. 109.

[244] عبد القادر بلحة، **مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907– 1945)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016، ص. 31- 34.

[245] – مراد بن حمودة، **النخب التقليدية في الجزائر ودورها السياسي والاجتماعي (1830. 1919م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدس بلعباس، (2018. 2019م)، ص. 172- 173.

246 - Belkacem Recham, **les musulmans Algeriens dans l'armée Française (1919 – 1945)**,Paris, 1996, p.17

كبير... فمنذ سنوات وفي ظل انخفاض القوى العاملة لدينا، عرفنا أننا في حاجة إلى الموارد البشرية التي تقدمها لنا الجزائر".[247] ومن أجل ذلك أصدر في 17 جويلية 1908 المرسوم الخاص بإحصاء الشباب الجزائري البالغ سن الثامنة عشر أو أكثر من أجل تجنيدهم[248] وقد دافع عن موقفه في الرسالة التي أرسلها إلى وزير الحربية قائلا أن: " الجزائر لا تزودنا إلا بحوالي 17 ألف جندي فقط في الوقت الذي تستطيع تجنيد 100 ألف جندي...". وفي ديسمبر 1908 صدر مرسوم يحدّد مدة الخدمة بالنسبة للجزائريين بثلاث سنوات، والشروع في إحصاء الشباب الجزائري القادر على حمل السلاح.[249]

وبعد تعيين "ميسيمي" وزيرا للحربية الفرنسية في 27 جوان 1911 ونتيجة لتوتر علاقات فرنسا مع ألمانيا، وحاجتها لتجنيد الجزائريين قام بتأسيس ثلاث فيالق من القناصة الجزائريين[250]. ثم اتخذ البرلمان الفرنسي بتاريخ 3 فيفري 1912 قرار نص على إجبار الجزائريين على أداء الخدمة العسكرية في صفوف الجيش الفرنسي على اعتبار أنهم رعايا فرنسيين.[251] نشر قرار تجنيد الجزائريين في جريدة المبشر يوم 2 مارس 1912، وقد قسم إلى ثلاثين بندًا، خصص قسم منه للأحكام العامة للتجنيد بصيغة الانضمام الإرادي وإعادة الانضمام، وقسم فقد ضم ستة وعشرون بندًا من ضمنها تحديد مدة الخدمة بثلاث سنوات مقابل منحة تقدر بـ 250 فرنك.[252]

وقد دفعت عدّة ظروف وعوامل ذاتية وخارجية فرنسا إلى اتخاذ قرار التجنيد الإجباري للجزائريين.من بينها سعي فرنسا لتغطية النقص الحاد في الجنود داخل الجيش الفرنسي نتيجة تراجع النمو السكاني في فرنسا مقارنة بخصمها الأوربي ألمانيا، ونتيجة تراجع الانضمام الإرادي للجيش

---

247) A. Messiny : **les statuts des indigènes Algériens**, imprimerie libraire militaire, paris, 1913, pp9- 11.

248 – أحمد، سعودي، **"النخبة الاندماجية في الجزائر ومسألة التجنيد الإجباري (1912– 1918)** "، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، ع4، مارس 2018، ص103.

249 – مراد، بن حمودة، المرجع نفسه، ص. 173- 176.

250 – نفسه، ص. 176.

251 – عبد الرحمان بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة للفترة الأولى (1920. 1930م)**، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 33.

252 – بن حمودة، المرجع نفسه، ص. 176

الفرنسي، وهو ما أجبر فرنسا على تجنيد الأهالي الجزائريين لتغطية هذا النقص [253]. وبالإضافة إلى خطر احتمال اندلاع حرب عالمية على إثر احتدام التنافس الاستعماري بين القوى الأوربية، خصوصا حول المغرب الأقصى[254]، فسعت فرنسا تجنيد مجهودها الحربي تحسبا للصدام مع القوى الأوربية خصوصا ألمانيا التي برزت بجيشها القوي وأصبحت منافسا شديدا لفرنسا [255].

– ردود الفعل تجاه التجنيد الإجباري:

– موقف النخبة الجزائرية.

تباينت مواقف النخبة الجزائرية تجاه قانون التجنيد الإجباري للجزائريين الذي سنّته فرنسا سواء من حيث الأساس أو المبدأ. فبعض من النخب التقليدية رفضته كون الجزائريين لا ناقة لهم ولا جمل من المشاركة في صفوف الجيش الفرنسي، وكونهم يشاركون الحرب تحت راية مسيحية وهو ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية [256]

وكان "عبد الحليم بن سماية" على رأس هذه النخبة، فقد دعا الجزائريين إلى ضرورة رفض قانون التجنيد الإجباري، وعدم الانخراط في صفوف جيش فرنسا، حتى لو منحتهم حقوقهم السياسية لأن ذلك يخالف الشريعة الإسلامية، فالقتال يكون في سبيل الله والوطن والشرف وليس في سبيل علم فرنسا [257]. وقد اعتمد في رأيه على أساس ديني مفاده أن المسلم لا يمكنه الانخراط في جيش غير إسلامي، وعلى أساس سياسي كون حصول المجندين على حقوقهم السياسية يجردهم من هويتهم الإسلامية [258]، وهو ما عبّر عنه في اللقاء الذي انعقد بمدينة الجزائر بتاريخ 5 جويلية 1911 أمام ممثلي الإدارة

---

253 – ناصر بلحاج، **مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري 1912 – 1916**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2004 – 2005، ص. 16.

254 رابح لونيسي، بشير بلاح وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر**، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص. 87.

255 – فرانسوا جورج دريفوس، رولان ماركوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا من عام 1789 حتى أيامنا، ج.3، ترجمة حسين حيدر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1995، . 346.

256 – يحي بوعزيز، **الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912– 1948م)**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 15.

257 – إبراهيم، مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر (1830. 1962م)**، دار هومه، الجزائر، ط 3، 2016، ص. 236.

258 – محمد، دراوي، " **أضواء على حياة ومواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الإصلاحية (1866. 1933م)**"، مجلة عصور، عدد 36، جويلية سبتمبر 2017، ص.327.

الاستعمارية وكبار الضباط، وجمع من الناس، قائلاً: " إن الحرية والحقوق السياسية المهداة للمسلمين صارت ضربة قاضية لرابطتهم الروحية الراهنة، حيث أن المستفيدين سيصبحون مندمجين تمامًا في الجيش الفرنسي...". وأكد ابن سماية موقفه الصريح الرافض للتجنيد الإجباري، إضافة إلى موقف الشعب الجزائري منه.[259] وعندما شرعت فرنسا في تنفيذه قرّر قطع أي علاقة تربطه معها، فقام بتقديم استقالته من وظائفه في التدريس سواء في المسجد أو المدرسة، كما قام ببيع منزله وعرض أثاثه في السوق، وأهدى كتبه لمعارفه واستعد للرحيل، ولكن سكان المدينة منعوه وعارضوا قراره، فما كان منه إلا أن تراجع عن قرار رحيله.[260]

أما أمحمد بن رحال فقد كان قبل صدور قانون التجنيد الإجباري أي عندما كان التجنيد إراديا يدعوا السلطات العسكرية الفرنسية في الجزائر إلى تهيئة الظروف من أجل تطبيق القانون منها ضرورة استشارة الجزائريين حوله، إضافة إلى تحسين أحوال الجنود الجزائريين والسماح لهم بالترقية والوصول إلى المراتب العليا، كل هذا قبل التفكير في توسيع دائرة التجنيد. وقد حاول ابن رحال مرارا إقناع الإدارة الفرنسية أن تصرف النظر حول قانون التجنيد، لذلك قام بعد صدور قانون التجنيد في 3 فيفري 1912 بإرسال رسالة تتضمّن مطالبه التي هي بمثابة مطالب وشكاوي الجزائريين، وجهها إلى مجلس معاينه الشباب المعني بعملية التجنيد عبّر فيها عن موقف الجزائريين بقوله: "ما طلبتموه منا ظلم فلم نقدر ولم نُرِد قبوله، وإذا أردتم جبرنا عليه فنقتل بأيدينا أولادنا، ونقتل أنفسنا إزاء أجسادهم...". كما أرسل رسالة أخرى إلى مستشار بلدي في 8 جوان 1912. وعندما لم تجد رسائله نفعا اتجه صوب باريس على رأس وفد بتاريخ 14 جوان 1912 حاملا معه مطالب الجزائريين وموقفهم تجاه التجنيد أين عرضها على السياسيين هناك، حيث طالب بإلغاء قانون التجنيد الإجباري أو تقديم منح تعويضية، أو السماح للجزائريين بالهجرة إلى البلدان الإسلامية [261].

---

[259] – عبد الرحمن، الجيلالي، "**جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي (1866– 1933م)**"، الأصالة، ع13، ص. 200- 201.

[260] – نفسه، ص. 200.

[261] – غانم بودن، "**سي أمحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين**"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، عدد 17، 2017، ص. 11 – 12.

وسارع أعضاء جماعة النخبة المثقفة (حركة الشبان الجزائريين) إلى توعية الجزائريين وطرح قضيتهم أمام الرأي العام الفرنسي، فأرسلوا في 27 ماي 1912 عريضة إلى الحكومة الفرنسية والمجلس الوطني الفرنسي، أكدوا فيها على أن قانون التجنيد الإجباري معادي للديمقراطية كونه مفروضا، وعلى الفقراء فقط، ومهينا لهم عندما يتم منحهم تعويضات بـ 250 فرنك، ما جعلهم يشعرون بأنهم مرتزقة وليسوا جنودًا بفخر، ولا يسوي بيت الجزائريين الذين تُفرض عليهم مدة الخدمة ثلاث سنوات، والأوربيين الذين تفرض عليهم مدة سنتين فقط. كما أنه غير عادل كونه فرض واجبات جديدة على الجزائريين دون إعطائهم الحقوق السياسية والمدنية التي يتمتع بها الفرنسيون. وتضمنت العريضة مطالب، تمحورت حول بناء قانون يضمن الحرية والعدالة والمساواة، وإلغاء قانون الأهالي العنصري، والمحاكم الزجرية، والمساواة في كل المجالات خصوصا فيما يتعلق بالمسؤولية، والضرائب والتمثيل النيابي للجزائريين في جميع الهيئات بما فيها المجلس الوطني الفرنسي بباريس.

وفي 26 جوان 1912 شكّلت هذه الحركة وفدا [262] اتجه صوب فرنسا، حاملا عريضة أطلق عليها " بيان الشباب الجزائري" قدّمت لرئيس الوزراء "بوانكاري". تمحورت حول التأكيد على أن الأهالي مستعدون لأداء الخدمة العسكرية مقابل تحسين حالة الجزائريين، والمساواة مع الفرنسيين، والتمثيل الحقيقي للأهالي في المجالس السياسية والمالية الجزائرية والفرنسية، وتحقيق العدالة في توزيع الضرائب ومداخيل الميزانية، فهم لم يرفضوا التجنيد الإجباري، بل صياغته، وعدم المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات[263].

وعارض أعيان "ندرومة" قانون التجنيد الإجباري، وطالبوا باحترام ما هو معمول به من قبل، أي التطوع من قبل الراغبين في الانضمام إلى الجيش الفرنسي بدل طريقة الإكراه، وألحوا على ضرورة إسقاط الخدمة الإلزامية من أصلها، وأن تترك لهم حرية الانضمام للجيش الفرنسي طوعا. ومنح الحقوق للجزائريين كالفرنسيين، واحترام دين وشعائر الشعب الجزائري. وهو ما عبر عنه أعيان " الغزوات"

---

[262] – تشكل أساسا من: الدكتور بن التهامي النائب البلدي بمدينة الجزائر، بوشريط علاوة، نائب ببلدية قسنطينة، حاج عمار، نائب ببلدية جيجل، إبن ديدوش، نائب بلدي بتلمسان، وغيرهم من النواب والشخصيات المثقفة.

[263] – محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830 – 1954**، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص. 237. ينظر أيضا: بن العقون، مرجع سابق، ص. 36.

امتعضوا من سياسة فرنسا التي تسوي بين الفرنسيين والجزائريين في إلزامية الخدمة العسكرية في حين لا تسوي بينهم في الحقوق، وتكون وضعية الجزائري منحطة، تثقل كاهله الضرائب الخاصة بالأهالي، ومورس ضدّه الإجحاف والتمييز من خلال قانون الغابات التعسفي، وأمام المحاكم الزجرية. وأرسل أعيان "مستغانم" ونوابها المحليون شكواهم إلى باريس، اشترطوا فيها مقابل أداء الخدمة العسكرية الحصول على حقوق المواطنة مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية للمجندين، وتقليص مدة الخدمة إلى سنتين فقط، وأن يتم الاستدعاء لهذه الخدمة للشباب البالغين 21 عامًا مثلما هو الحال بالنسبة للفرنسيين[264]. كما أرسل سكان "الخروب" عريضة أيضا إلى السلطات الفرنسية، يعارضون فيه صيغة التجنيد الإجباري المطبقة على الجزائريين.[265]

وبالإضافة إلى تشكيل الوفود وإرسال العرائض فقد عبّر الشعب الجزائري عن رفضه لقرار التجنيد الإجباري بمظاهرات صاخبة جماعية وتلقائية، مسّت تقريبا كل أنحاء الجزائر [266] ففي "بوقرة" ضواحي البليدة احتج حوالي 300 جزائري أمام مقر البلدية ضد التجنيد الإجباري، كما شهد دوار بني عوف وبلدية عين التوتة بباتنة شهر ماي 1912 تاريخ إجراء الخاصة بالتجنيد عصيان جزائري تمثّل في عدم حضور المسجلين في قوائم الإحصاء إلى البلدية، ونفس العصيان سجّل بمنطقة "القنطرة" في 24 جوان 1912، أما في خنشلة فقد أشارت عدة تقارير إلى هذا العصيان ورفض التجنيد، والإشارة إلى أن سكانها عازمون على الثورة ضد السلطات المحلية التي طبّقت قانون التجنيد. كما عرفت الجزائر احتجاجات عديدة، خاصة في بني مزاب. وقد لجأ الجزائريون لأساليب أخرى للتهرب من التجنيد، كاستعمال المال والجاه، وإيجاد البديل، وادعاء العجز والمرض وغيرها [267].

---

[264] – إبراهيم مهديد، مرجع سابق، ص. 182.

[265] – بن العقون، مرجع سابق، ص40-42.

266 – ابن العقون، نفسه، ص. 33.

[267] – حميد آيت حبوش، "**قانون التجنيد الإجباري 1912، دراسة في ظروف صدوره، وموقف الجزائريين منه**"، الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد 2، سبتمبر 2018، ص. 281 – 282.

وكتعبير عن رفض التجنيد الإلزامي لجأ الكثير من الأهالي إلى هجرة الأرض التي دنّسها الكفار، فكانت البداية بالأعيان الذين غادروا مع عائلاتهم [268]. ثم انتقلت إلى أفراد الشعب الذين فرّ الكثير منهم إلى الجبال، وإلى الخارج هروبا من التجنيد الإجباري منذ سنة 1911 [269] ثم تطورت الظاهرة إلى شبه هجرة جماعية من مختلف أنحاء الجزائر صوب المشرق، فمن تلمسان غادرت حوالي 800 عائلة إلى المشرق، تليها معسكر، وسطف، وبرج بوعريريج، وغيرها من المدن الجزائرية [270].

كما عرفت الجزائر عدّة انتفاضات وثورات شعبية كرد فعل شعبي على هذا القانون، منها ثورة "بني شقران" بمعسكر التي انطلقت شهر سبتمبر 1914 واستمرت إلى شهر أكتوبر من نفس السنة. وتوسّعت الثورة الشعبية العارمة التي امتدت إلى تيارت والونشريس، والجنوب القسنطيني، وناحية سوق أهراس، وعندما أدركت فرنسا سلبية قرارها المتسرع والمجحف أمام رد فعل الجزائريين تجاهه، أجلت عمليات التجنيد مؤقتا، وقامت بدعاية مكثّفة لتقبله، إلا أن الثورة ضدّه استمرت، فانطلقت الثورة في منطقة القبائل، وسوق أهراس. تليها ثورة الأوراس التي اندلعت في نوفمبر 1916 واستمرت إلى شهر ماي 1917 كرد فعل على تجنيد الجزائريين بالقوة لخدمة المجهود الحربي الفرنسي في الحرب العالمية الأولى، وسقوط الآلاف من الجزائريين في ساحات القتال بأوربا [271].

أما غلاة المعمرين رفض تجنيدوا الأهالي لما سينجرّ عن ذلك من نقص اليد العاملة الزهيدة. فرغم إدراكهم لتضحيات الجنود الجزائريين في المجهود الحربي الفرنسي إلا أنهم رفضوا أن تمنح لهم امتيازات وحقوق سياسية كمكافئة على تضحياتهم، فقد صرّح نائب وهران "مارسيل سان جرمان" بمجلس الشيوخ قائلا: (قام الأهالي بواجبهم نحونا، واستحقوا المجازات، ولكن هل من الضروري أن نلجأ من أجل ذلك إلى إجراءات التهور؟). وبمجرّد صدور قانون 4 فيفري 1919 الإصلاحي الذي جاء بعد

---

268 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.4، 1992، ص. 122.

269 – Charles Robert Ageron, **Genèse de l'Algérie Algérienne**, EDIF, Paris, 2000, p. 73-88.

270 – عبد المالك مرتاض، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 – 1962)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دار هومة، الجزائر، ص. 70. أيضا: حميد آيت حبوش، مرجع سابق، ص.283.

271 – محفوظ قداش، جزائر الجزائريين ... مرجع سابق، ص. 256 – 258.

إلحاح رئيس الوزراء " كليمنونصو G. Clémenceau" كمكافئة على مساهمة الجزائريين إلى جانب فرنسا في الحرب العالمية ثارت ثائرة المعمرين وغلاة الاستعمار وشنوا حملة ضدّه، وطالبوا بإسقاطه وعبروا عن سخطهم في صحفهم، واعتبروه بمثابة ضربة غادرة وجّهت لهم، وأنه مساس بمصالحهم، وتهديد للأمن كونه سيؤدي إلى تجنيس الجزائريين، وبالتالي استحواذهم على مقاعد المجالس البلدية [272].

رغم الآثار الكارثية التي خلّفها قانون التجنيد الإجباري على الجزائريين، الذي زجّ بآلاف الشباب في المجهود الحربي الفرنسي، وسقوط آلاف الضحايا الجزائريين في حرب لا تعنيهم، ورغم القمع الاستعماري الفرنسي ضد انتفاضة الجزائريين الذين رفضوه، فإن هذا الرفض يعتبر حلقة من حلقات المقاومة التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي وسياساته. كما أثّر هذا التجنيد الإلزامي في زيادة الوعي لدى الجزائريين الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) واكتسبوا وعي وطني بضرورة الإنعتاق من المستعمر الفرنسي [273].

---

[272] - **L' écho d' Alger**, n° du 28 Octobre 1919. Voire aussi: **Le républicain Constantine**, n° du 13 Avril 1919.

- عزوز ديلمي، " **وزن المستوطنين في السياسة الاستعمارية، مواقف صحافة مستوطني عمالة قسنطينة بين الحربين العالميتين**"، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 37، جوان 2012، ص. 61.

273 - بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830 – 1998، ج.1**، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص. 361.

المحور 08 :

حركة الأمير خالد وملامح تشكل التيار الاستقلالي.

أوشك تيار المحافظين، وتيار النخبة المتفاعلين سياسيا منذ مطلع القرن العشرين أن يشكلا حزبين متنافسين على الساحة السياسية الجزائرية لولا إعلان الاحتلال حالة الطوارئ في البلاد جرّاء اندلاع الحرب العالمية الأولى، فتوقفت الصحف وأغلقت النوادي، وكُبّلت حرية التعبير، وأُخذ الشباب عنوة إلى جبهات القتال تحت راية فرنسا، وأخذ ساستها يحدثون شبه إصلاحات إدارية وسياسة كمكافأة للجزائريين نظير خدمتهم في الحرب. وكرد فعل على سياسة تجنيد طاقات الجزائر البشرية والاقتصادية لصالح المجهود الحربي الفرنسي، وقانون التجنيد الإلزامي، انتفض الجزائريون في بني شقران (1914 – 1915). والأوراس والقبائل (1916 – 1917). والأهقار (1918 -1919) وغيرها [274].

ومع نهاية الحرب العالمية طرأت على الجزائر مستجدات بارزة كانت فاتحة عهد جديد مثّل الأرضية لتشكّل الحركة الوطنية. فصدر قانون يمنح بعض الحقوق السياسية والعسكرية والإدارية لبعض الجزائريين، وهو قانون فيفري 1919 الذي أصدره البرلمان الفرنسي باقتراح من رئيس وزراء فرنسا "جورج كليمنصو" وبعض المعتدلين من النواب الذين اعتبروا هذا التعديل الطفيف مكافأة على ما ساهم به ما يزيد عن ربع مليون جزائري في الحرب العالمية الأولى. وقد تضمّن طرق الحصول على الجنسية الفرنسية، وتوسيع القسم الانتخابي للجزائريين في جميع المجالس العامة، والوفود المالية، ومجالس الدواوير، مع السماح لهم بالمساهمة في انتخاب رئيس البلدية. ورغم ذلك بقي الجزائريون يمثلون أقلية في

[274] – أبو القاسم سعد الله، **خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة والتحرير 1830 – 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص. 101.

هذه المؤسسات التمثيلية مقارنة مع الأوربيين، ورغم ذلك رفضوا هذا القانون، ثم قبلوه عن مضض بعد تدخل الوالي العام" شارل جونار" [275].

وعلى إثر إصلاحات وانتخابات 1919 عرفت حركة الشبان (تيار النخبة) أزمة ستؤدي بها إلى الانقسام، وينبثق عنها تياران، الأول ليبيرالي تزعمه الدكتور "ابن التهامي" ظلّ يثق في السياسة الفرنسية، ويدعوا إلى الاندماج والمساواة، وتيار ناضل من أجل الحفاظ على الشخصية الوطنية، ورفض كل سبل الإدماج، كالتجنيس وغيرها من السياسات التي تصب في هذا المسعى، ويدعو إلى المساواة دون الإدماج، مثّله "الأمير خالد".[276]، الذي سيكون من الشخصيات البارزة التي ظهرت على الساحة السياسية في هذه الفترة، التي أخذت على عاتقها الدفاع عن مصالح الشعب الجزائري وستتصدر مسرح السياسة الجزائرية في الفترة ما بين 1919 و1923، فقد اجتهد الأمير خالد مع جماعة من إخوانه لأجل تحسين أوضاع الجزائريين، ورغم عدم بلوغ أهدافه فإن تجربته هذه سترسم معالم النضال الوطني، وستترك رصيدا نضاليا للحركة الوطنية، وخاصة اتجاهها الثوري [277].

فالأمير خالد كان ينشط ضمن الحركية الثقافية والمطلبية التي ظهرت مطلع القرن العشرين، من خلال المطالب التي كان يقدمها لإدارة الاحتلال، واحتجاجه على استبدادها وتعسّف مستوطنيها، لكنه ظهر كعضو بارز في النضال الوطني بعد الحرب العالمية الأولى، وقد أهلته ثقافته المزدوجة (عربية فرنسية)، وخدمته العسكرية في الجيش الفرنسي، والرصيد التاريخي لعائلته، وطموحه الشخصي لخوض تجربة سياسية رائدة [278].

---

[275] – عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص. 74.
ينظر أيضا:
- Augustin Bernard, **L'Afrique du Nord pendant la guerre**, Presses Universitaires de France, Paris, 1927, p: 102.

[276] – أحمد مهساس، **الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلّحة**، ترجمة الحاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص. 45.

[277] – جمال قنان، مرجع سابق، ص. 201.

[278] – سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر ...مرجع سابق، ص. 104.

1 – نبذة عن شخصية وسيرة الأمير خالد:

هو خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد القادر (حفيد الأمير عبد القادر)، ولد بدمشق يوم 20 فيفري 1875 بعدما غادرت أسرته الجزائر عام 1848، واستقرت بسوريا عام 1854، تلقى تعليمه الأولي بدمشق [279]. ثم درس بثانوية لويس الأكبر (Louis Le Grand) في باريس منذ 1885. وفي عام 1892 رحل مع والده من فرنسا إلى الجزائر وهو يبلغ من العمر 17 سنة. والتحق بأبيه في الجزائر عام 1892 ، ثم دخل كلية "سان سيير" العسكرية في الفترة الممتدة من 1893 إلى 1896 لكنه عاد سنة 1895 إلى الجزائر قبل أن ينهي دراسته، حيث أشارت التقارير الفرنسية في تلك المرحلة أنه كان سيء النوايا إزاء فرنسا، فأرغمته الإدارة الفرنسية بالجزائر على الإقامة الجبرية في بوسعادة، للحيلولة دون هرب أسرته [280].

ثم عاد إلى فرنسا وبإيعاز من جدّه الأمير عبد القادر، الذي طلب من ابنه الهاشمي بأن يتوسط لدى السلطات الفرنسية من أجل قبول خالد بالمدرسة الحربية "سان سيير"، وبالفعل سُمح للأمير خالد بمواصلة تكوينه العسكري، فانظم عام 1893 إلى المدرسة الحربية وحصل منها على رتبة ملازم عام 1878. ثم التحق بالفرقة الخامسة للقناصة الأفارقة بمدينة الجزائر، وبقي بها سبع سنوات كاملة يدرب ويعلم الجنود الزواف [281]، وقد فضّل عدم التجنس بالجنسية الفرنسية، وأن يظل في المرتبة التي كانت للأهالي الجزائريين آنذاك. اضطر الأمير لمغادرة مدرسة سان سير عام 1895 التي يبدو أنه كان مجبرا على دخولها، ولأنه لم يكن يرغب في قتال العرب إلى جانب فرنسا فكّر بالفرار إلى المشرق، وانتبهت

---

[279] - Meynier G, Koulakssis A, **l'Emir Khaled** (**premier Zaim**), Edition l'Harmattan, Paris, 1987, p. 91 – 92.

[280] – محمد قنانش، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 ، ص. 127. ينظر أيضا: شارل روبير أجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير**، مجلّد 2، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص. 390 – 391.

[281] – يحي بوعزيز، **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912 – 1948)**، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991 ، ص. 35.

السلطات الفرنسية لرغبته في الفرار من الخدمة في صفوف جيشها، ونواياه تجاهها، وكرهه لإدارتها، فقررت وضع أسرته في الإقامة الجبرية ببوسعادة [282].

وفي سنة 1905 أرسل إلى المغرب الأقصى ليشارك مع القوات الفرنسية في تدريب قوات السلطان المغربي تمهيدا للاحتلال الفرنسي للمغرب الأقصى، فارتقى إلى رتبة قبطان سنة 1908 وهناك تبين للسلطات الاستعمارية الفرنسية أنه كان من أنصار السلطان "عبد العزيز " ضد السلطان "عبد الحفيظ " المطالب آنذاك بالعرش، واعتبره المشير "ليوتي Lyautey " [283] في عام 1912 عنصر شغب واضطراب [284]، ففرضت عليه الإدارة الفرنسية رقابة مشدّدة [285]. لكن من جهة أخرى ورغم رفض الأمير للتجنس وتمسّكه بأحواله الشخصية الإسلامية فقد رقّته إلى رتبة نقيب من صفة أهلي سنة 1908، جزاء له على مشاركته في احتلال المغرب، في حين قوانين فرنسا العسكرية وفقا لمرسوم 1899 لا تسمح للأهالي بالارتقاء إلى رتبة نقيب، غير أن السلطات الفرنسية اضطرت لخرق هذا المرسوم حتى لا تفقد الأمير خالد، وكان بإمكانه الارتقاء لرتبة رائد لو أنه قبل بالجنسية الفرنسية، غير أنه اعتبر ذلك خروجا عن قواعد الشريعة الإسلامية ونكرانا للذات [286].

2 – النشاط السياسي للأمير خالد:

كانت سنة 1913 انطلاقة هامة لنشاط الأمير خالد السياسي، فقد انتقل إلى باريس، وبدأ جولته بإلقاء محاضرات عن الظروف السياسية والاجتماعية السيئة التي يعيشها مسلمو الجزائر، طرح

---

[282]– حكيم بن الشيخ، **دور الأمير خالد في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1912 – 1936)**، أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، الجزائر، 2001 – 2002، ص. 70 – 71.

[283] – هوبرت جونسالف ليوتي، عيّنه الحاكم العام للجزائر "شارل جونار " سنة 1903 على رأس القيادة العسكرية بإقليم عين الصفراء، ومنحه صلاحيات واسعة. في 1907 رقي إلى رتبة جنرال، ثم إلى رتبة ماريشال سنة 1921. عين كأول مقيم في المغرب الأقصى ما بين 1912 – 1925. توفي سنة 1934. ينظر: برنيان أندري، وأندري نوشي وايف لكوست، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة اسطنبولي ا ربح وآخرون، المؤسسة المطبعية الرغاية، الجزائر، 1984، ص. 387. أيضا:
- Peyronnet, R, **Livre D'Or Des Officiers Des Affaires Indigènes**, T2, Notice et Biographies, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930, P. 488.

[284] – محفوظ قداش، **الأمير خالد**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. 27.

[285] – عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، ج. 4**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص. 476.

[286] – بن الشيخ، المرجع نفسه، ص. 74.

خلال محاضراته برنامج حركة الجزائر الفتاة (حركة الشبان الجزائريين)، والتي كان انضمامه إليها مكسبا كبيرا لها، وأعطاها دفعا قويا، وبعث نشاطها كونه عبّر عن مآسي الشعب الجزائري وآماله ومطالبه ودافع عن قوميته وهويته، فأصبحت التيار الوطني الجامع لأفكار النخبة الجزائرية [287]. وقد لخّص برنامج حركة الشبان في ضرورة إزالة النظام الاستعماري، وتطبيق المساواة بين الجزائريين والأوربيين، وإلغاء القوانين الاستثنائية، وتمثيل الأهالي تمثيل فعلي في جميع المجالس، وتشغيل اليد العاملة الجزائرية في فرنسا [288]. وكان في كل محاضراته ومراسلاته يشيد بمجد تاريخ أرض أجداده، ويذكّر بجهاد وبطولات شعبه تحت راية جدّه الأمير عبد القادر [289].

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، تطوّع الأمير خالد للمشاركة فيها إلى جانب فرنسا بتاريخ 2 أوت 1914. وفي سنة 1916 تم تسريحه بدعوى أنه مريض بالسل، لكن الراجح أن سبب تسريحه بعود لمواقفه السياسية ومطالبه الجريئة. ظل الأمير يتابع أحداث الحرب من الجزائر، وتأثّر بمبدأ تقرير المصير للشعوب الذي أعلنه الرئيس "ولسن" [290]، وبقي يتحين الفرصة لإعلان رأيه السياسي تحت شعار هذا المبدأ. وفعلا اغتنم فرصة انعقاد مؤتمر الصلح وتوجه إلى فرساي على رأس وفد، وقدم عريضة إلى الرئيس الأمريكي تتضمن مطلب تطبيق تقرير المصير للشعب الجزائري [291].

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، توفرت الشروط التي ستعطي لنشاط ونضال الأمير خالد دفعة قوية، وسيبرز نشاطه السياسي، وتتجلى مواقفه من السياسة الاستعمارية في الجزائر بأكثر جرأة ووضوح، وتتمثل هذه العوامل في انعقاد مؤتمر الصلح عام 1919، ونجاح الثورة الشيوعية وما انجر عنها من وعي تحرّري، بالإضافة إلى ثورة عمّه الأمير" عبد المالك" ضدّ فرنسا بالمغرب الأقصى، ثم إصلاحات 04 فيفري المتعلّقة بالانتخابات [292].

---

[287] – بن الشيخ، مرجع سابق، ص. 95 – 96.

[288] – محمد قنانش، مرجع سابق، ص. 120. ينظر أيضا: محفوظ قداش، الأمير خالد ... مرجع سابق، ص. 27.

[289] – جريدة الإقدام، 5 ماي 1920. 28 جويلية 1922. نقلا عن: بن الشيخ، مرجع سابق، ص. 75.

[290] – سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ... مرجع سابق، ص. 54 – 58.

[291] – أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر ...مرجع سابق، ص. 104 . للإطلاع على العريضة ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**... ج.2، المرجع نفسه، ص. 49.

[292] – محمّد قنانش، المرجع نفسه، ص. 121.

توجّست سلطات الاحتلال من حركة الأمير خالد، واعتبرت أنشطته حركة وطنية بإمكانها إحداث نهضة شاملة بن الأهالي، وتوطيد روابطهم وتماسكهم، عندما دعا إلى التمسّك بأحوالهم الشخصية، ودافع عن مصالحهم، وطالب بالمساواة، وعارض الإجراءات الاستثنائية، فكسب بذلك دعم الجماهير والنخب الوطنية. كما أحرج نشاطه في المحافل الدولية، واتصالاته بالشخصيات السياسية، (مثلا اتصاله بولسن، والرسالة التي بعث بها إلى الرئيس الفرنسي إدوارد هريو عام 1924، والتي تضمنت مطالب جريئة) وكذا لغته الحادة ومعارضته الشديد للسياسة الاستعمارية من خلال مقالاته في جريدته " الإقدام" سلطات الاحتلال التي نفته عام 1923 [293].

خاض الأمير خالد نشاطه السياسي مستغلا الحيز الضيق المتاح للجزائريين بموجب قانون 4 فيفري 1919 على ثلاث مستويات متكاملة، سواء عبر الهيئات التمثيلية، أو على الجبهة الإعلامية من خلال جريدة" الإقدام "، وعبر جمعية " الأخوة الجزائرية " التي أسسها، أو ومن خلال تنظيم زيارات لمختلف مدن البلاد وإلقاء المحاضرات قصد نشر الوعي، وتحسيس الجماهير بالمشاكل التي تتخبط فيها، وتوعيتها بأساليب العمل المجدي على المدى المتوسط والبعيد، وتنبيهها بضرورة التمسّك بمقومات شخصيتها الوطنية والحضارية، وأيضا عن طريق الاتصال بالشخصيات الفرنسية [294].

فعلى المستوى التمثيلي في الهيئات المحلية اتخذ الأمير خالد من الانتخابات سبيلا للعمل على تحسين أوضاع الجزائريين، فدخل رفقة زملائه معترك الانتخابات، وواجهوا عراقيل جمّة من طرف إدارة الاحتلال وأعوانها من الأهالي أثناء الحملات الانتخابية لاختيار أعضاء المجلس البلدي من" الأهالي " لمدينة الجزائر، والمجلس العام لعمالة الجزائر، وعضوية المندوبيات المالية. وبخصوص الانتخابات الخاصة بعضوية المجلس البلدي لمدينة الجزائر، التي جرت في شهر نوفمبر 1919 شاركت ثلاث قوائم أهلية، واحدة على رأسها كل من" الحاج موسى مصطفى" القيم على ضريح الولي عبد الرحمن الثعالبي، ومعه الأمير خالد كأحد أعيان مدينة الجزائر، ولم تضم هذه القائمة أي عضو متجنس، وهو ما يعبّر على أن

---

[293] - Ferhat Abbas, **autopsie d' une guerre**, édition Garnier, Paris, 1930, p. 346. Voire aussi: Victor Spilman, **l'Emir Khaled** (**son action politique et sociale en Algérie**) **de 1920 – 1923**, un aspect de la question Indigène Algérien, édition de trait d'union, Alger, 1938, p. 19 – 20.

[294] – جمال قنان، **دراسات في التاريخ المعاصر**، م. 6، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص. 114.

أصحابها يرفضون التخلي عن دينهم وشخصيتهم الجزائرية، أما القائمة الثانية فقد ترأسها الدكتور" ابن التهامي" وضمّت مجموعة من المتجنسين. أما القائمة الثالثة فضمّت إلى جانب أعضائها من الجزائريين اثنين من الفرنسيين المتعاطفين مع الجزائريين. تمكنت قائمة "الحاج موسى" والأمير خالد من تحقيق نجاحا كبيرا، إذ حصل الأول على 940 صوتا، والثاني 925 صوتا، بينما لم يحصل الدكتور ابن التهامي إلا على 332 صوتا. وهو النجاح الذي لم يهضمه الأخير، واتهم الأمير خالد بالتآمر عليه ضد السلطة، وطالب بإلغاء هذه الانتخابات، التي لم تجري في رأيه في جو هادئ، وهو المطلب الذي دعمه المجلس العام لعمالة الجزائر الذي أوصى بدوره بإلغاء نتائج الاقتراع، تعليق، وبذلك تم تعليق نتائج الانتخابات وليس إلغائها. ورغم ذلك فقد تدعم هذا النجاح الانتخابي الذي تحقق على مستوى مجلس بلدية العاصمة بانتخابه عضوا في المجلس العام للعمالة، وكذلك عضوا في المندوبيات المالية في ربيع 1920 [295].

أما على الصعيد الإعلامي فقد جعل الأمير خالد من جريدة الإقدام التي صدرت في سبتمبر 1920 لسان حال الشباب الجزائري، ومنبرا للتعبير عن آرائه [296]. وحملت مقالاته بها تارة تهجما ولغة جريئة تجاه تجاوزات سلطات الاحتلال، وتارة أخرى مطالب إصلاحية لتحسين أوضاع الجزائريين [297]. ولمدة ثلاث سنوات دافع الأمير خالد عن القضية الجزائرية، ومصالح المسلمين الجزائريين، وفيها فضح تعسف الإدارة الاستعمارية وأعوانها من الأهالي الذين باعوا أنفسهم لها [298].

ودعما لنجاحه في المجالس المنتخبة، ونشاطه الإعلامي والتوعوي، قام بتاريخ 23 جانفي 1922 بتأسيس "جمعية الأخوة الجزائرية" التي استقطبت الشبان، والأعيان، والنخب المثقفة والفلاحين[299]. وقد حاول جعل هذه الجمعية قاعدة لنشر الوعي السياسي والقومي بين الجزائريين ووسيلة للمطالبة بحقوقهم وإيصال مطالبهم. فقد اتخذ نشاطها شكل اجتماعات عامة تُلقى فيها

---

[295] – جمال قنان، دراسات ... مرجع سابق، ص. 115 – 116.

[296] – أحمد الخطيب، **حزب الشعب الجزائري**، ج.1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 62.

[297] – Victor Spilman, l'Emir Khaled …op.cit, p. 19 – 20.

[298] – محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 – 1939، ج.1**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص. 130.

[299] – Victor Spilman, l'Emir Khaled …op.cit, p. 6.

المحاضرات حول الموضوعات الثقافية المتصلة بالحضارة العربية الإسلامية التي من خلالها يتم إبراز أهمية الاتحاد بين الجزائريين. قامت الجمعية بتأسيس فروع لها في بعض المدن تحت غطاء جمع الاشتراكات لجريدة الإقدام. وأمام توسع نشاطها، وتغلغلها بين الجزائريين الذين أقبلوا عليها لجأت إدارة الاحتلال إلى الضغط على المواطنين، وترهيبهم بمختلف الوسائل للامتناع عنها، ولمواجهة هذا الإجراء الذي يهدف إلى عزل الجمعية عن جماهيرها قام الأمير بجولة شملت مختلف مدن البلاد خلال شهر أوت 1922 لكسب التأييد لها، وتعبئة الجماهير وتوعيتهم [300].

أوشكت جمعية الأخوة أن تصبح حزبا سياسيا لولا تضييق سلطات الاحتلال على أنشطة الأمير خالد، واتهامه بالتآمر على السلطة الفرنسية، وإلغاء فوزه في الانتخابات، ثم نفيه من الجزائر سنة 1923. غير أن الأمير خالد استغل الموقف ونقل نشاطه إلى فرنسا نفسها في أوساط العمال المهاجرين، وكثّف أنشطته السياسية بها من خلال تعاونه مع التيارات البارزة، ودعم ثورة عمه الأمير عبد المالك، وثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في المغرب، وشارك في مؤتمر الخلافة بالقاهرة سنة 1924. غير أنه منذ سنة 1925 خفّ نشاط الأمير خالد، ثم انتقل إلى بلاد الشام التي كانت تحت الانتداب الفرنسي، ثم أفل صوته تدريجيا إلى أن توفي في بيروت مطلع سنة 1936 [301].

وفي الأخير نخلص إلى أن الحركية الثقافية وظهور بوادر الوعي الوطني مطلع القرن العشرين في الجزائر، أدّت إلى ظهور تيارين مهّدا لظهور الحركة الوطنية الجزائرية. وباندلا ع الحرب العالمية الأولى، وما أفرزته من تطورات، وانعقاد مؤتمر الصلح، والمواثيق التحررية التي صدرت عنه المكرّسة لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وبعد نجاح الثورة البلشفية، وانتشار الفكر الشيوعي سيبرز على الساحة السياسية في الجزائر تيار شيوعي، ثم تيار استقلالي ينتهز هذه المتغيرات ليدعوا إلى التحرر من المستعمر. ومن هذه التيارات ستنبثق الأحزاب السياسية المشكلة للحركة الوطنية الجزائرية (جمعية العلماء المسلمين عن كتلة المحافظين، وفدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين عن كتلة النخبة، ونجم شمال إفريقيا عن التيار الاستقلالي، والحزب الشيوعي عن التيار الشيوعي).

---

[300] – جمال قنان، مرجع سابق، ص. 128 – 129.

[301] – سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر ... مرجع سابق، ص. 106.

المحور 09 :

تشكّل تيارات الحركة الوطنية ومحاولات التكتل وتوحيد جهودها (المؤتمر الإسلامي).

كان من نتائج بروز الوعي السياسي في الجزائر الناجم عن الحركة الفكرية والاجتماعية المطلبية، وإفرازات الحرب العالمية الأولى تشكُّل الأحزاب الوطنية بمختلف اتجاهاتها (الإدماجية، الاستقلالية والإصلاحية). ونتيجة للظروف التي مرَّت بها الجزائر مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، وفي سعيها لخدمة القضية الجزائرية حاولت هذه التيارات توحيد جهودها، وتخطي الفوارق الأيديولوجية والحسابات الشخصية، فباشرت العمل السياسي في شكل موحد تجسد في عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري، الذي ستخوض من خلاله الأحزاب الوطنية تجربة جديدة في تاريخها النضالي.

1 – دوافع وظروف انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري:

ساهمت في انعقاد هذا المؤتمر ظروف داخلية وخارجية مرَّت بها الجزائر منذ تشكّل أحزاب الحركة الوطنية، والتي كان لها الأثر الواضح في نضج الحركة الوطنية، التي اختارت الإتحاد فيما بينها من أجل تقديم ورقة مطلبيه واحدة تّرص فيها الصفوف للدفاع عن القضية الجزائرية.

ومن أهم الظروف الداخلية التي حفّزت الحركة الوطنية على التفكير في تكتيل جهودها، وعقد مؤتمر يوحد وجهاتها هي الاحتفالات التي أقامتها فرنسا بمناسبة مرور مائة سنة على احتلالها الجزائر[302] كخطوة لاستفزاز مشاعر الجزائريين، واستعراض قوتها [303]. وكرد فعل على هذا الاستفزاز تعالت أصوات جزائرية منددّة، أبرزها جماعة العلماء المصلحين التي كثّفت جهودها لرد الاعتبار لمقومات

---

[302] – باشرت السلطات الاستعمارية التحضير لهذه الاحتفالية منذ سنة 1927. وهو تاريخ مرور قرن على حصار مدينة الجزائر، وقد أنفقت أموال ضخمة في احتفالاتها بهذه الذكرى من أجل استفزاز مشاعر الجزائريين، وإظهار قوة فرنسا. كما استّعد المستوطنون لها، فنصبوا تمثالا لتخليد ذكرى "لامورسيير". ولم يكونوا هم فقط من اهتم بإنجاح مظاهر الاحتفالية بل طال الحماس النُّواب الجزائريين أمثال "الشريف سيسبان" وبعض الأعيان أمثال"مصطفى بن باديس" اللَّذان كانا مصطفّان في الصفوف الأولى لاستقبال رئيس الجمهورية " Doumergu Caston" أثناء زيارته لمدينة قسنطينة يوم 8 مارس 1930. بالإضافة إلى إشراك تلاميذ المدارس وعرض فعاليات تُصوّر فرنسا نفسها فيها حاملة مسؤولية تحضير الجزائريين.

[303] – حميد عبد القادر، **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص. 53.

الشخصية الجزائرية [304]، فقامت بدعاية سرّية أفسدت بعض برامج الاحتفالات، وكسب الجماهير الجزائرية إلى صفها، فكانت هذه الاحتفالات وما صاحبها من استفزازات لمشاعر الجزائريين، والتفاف عدد من الجزائريين حول جماعة المصلحين حافزا دفعها لتجسيد ما كان بالأمس فكرة تتدارس، فسارعن لتأسيس جمعية العلماء سنة 1931 [305].

كما أعطى نجاح كتلة المنتخبين المسلمين في انتخابات 1934 زخم للنشاط السياسي على إثر المطالب الجزائرية التي رفعها النّواب في المجالس النيابية، فعرف نشاطهم حركية، خصوصا نشاط الدكتور "بن جلول" الذي تقرّب من الأوساط الشعبية لفهم معاناتهم ما أكسبه دعمهم في الانتخابات.

ومثّلت أحداث قسنطينة الدامية بين اليهود والمسلمين [306] دافعا هاما لتوحيد جهود الحركة الوطنية، فمن أجل تهدئة الأوضاع تدخل قادتها، وعلى رأسهم إبن جلول، وابن باديس، وفرحات عباس، الذين اعتبروا هذه الحوادث مكيدة لهز الاستقرار وزرع بذور الفتنة بين السكان، وقاموا بمبادرات للتهدئة بين الأهالي المسلمين واليهود [307]. كما اشتغل "مصالي الحاج" على المسألة، فأكّد في ملتقياته على أنَّ تلك الأحداث كانت من تدبير المستعمر وأذنابه [308]. ورغم ما خلّفته هذه الأحداث من رعب أوساط مسلمي ويهود قسنطينة فإنها حفّزت قادة الحركة الوطنية على تجاوز إيديولوجياتهم وخلافاتهم، والعمل في صف واحد للدفاع عن الجزائريين، وهو ما سيساهم في مسعى التكتل من خلال عقد المؤتمر الإسلامي سنة 1936، وفي السنة ذاتها اكتملت تشكيلة الحركة الوطنية بظهور الحزب الشيوعي الجزائري الذي سيكون ضمن تشكيلة المؤتمر.

---

[304] – جيلالي صاري، **بروز النخبة الجزائرية المثقفة (1850–1950)**، ترجمة عمر المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة ، الجزائر، 2007، ص. 251.

[305] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [د– ت]، ص. 166. ينظر أيضا: الجيلاني ضيف، **بناة المجد عبد الحميد بن باديس**، دار الخليل، الجزائر، 2019، ص. 94.

[306] – بعدما انتهك اليهودي "خليفة إلياهو" حرمة مسجد "سيدي لخضر" بالتّبول أمام حائطه وهو سكران، انزعج مسلمو قسنطينة من ذلك باعتباره إساءة للدين الإسلامي، فتوجهوا نحوه لنهره، إلا أنه تمادى في إطلاق الشتائم، الأمر الذي جعل الوضع يتفاقم، وحدثت في الأيام الموالية للحدث مواجهات دامية بين مسلمي ويهود قسنطينة، راح ضحيتها خمسة وعشرون شخصا وجرح ستون آخرين، وتم تدمير الكثير من المساكن، ونهب محلات تجارية من جانب اليهود، مقابل مقتل أربعة مسلمين واعتقال العديد منهم. ينظر: عبد العزيز فيلالي، **اعتداء اليهود على أهل قسنطينة سنة 1934: أبعاد الصهيونية ورد الفعل الوطني والعربي**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص. 45. ينظر أيضا: حميد عبد القادر، مرجع سابق، ص. 59.

[307] – عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص. 52. ينظر أيضا: حميد عبد القادر، مرجع سابق، ص. 60.

[308] – Benjamin Stora, **Messali Hadj (1898– 1974) pionnier du Nationalisme Algérien (1898– 1974)**, Ed. L'Hrmattan, Paris, p.114.

وكان مشروع "بلوم فيوليت" الإصلاحي من بين أهم القضايا التي دفعت الحركة الوطنية للاجتماع لمناقشته، والخروج بموقف موحد حوله. فمع بداية ثلاثينات القرن العشرين أبدت بعض الشخصيات الفرنسية نوعا من التعاطف مع الجزائريين المتضررين من السياسة الاستعمارية، فطرحت بعض المشاريع الإصلاحية، منها مشروع النائب العام بالجزائر "موريس فيوليت" الذي عُرض على البرلمان الفرنسي سنة 1933 نصّ على منح بعض الحقوق لبعض الجزائريين [309]، وقد شغل هذا المشروع الرأي العام الفرنسي، وأثار ضجة داخل البرلمان الذي رفضه [310]. وكان لقادة الحركة الوطنية مواقف متباينة تجاهه، حيث لاقى ترحيبا من طرف جماعة النخبة أمثال فرحات عباس وابن جلول. واعتبرت جمعية العلماء المسلمين أن المشروع سيحقق بعض حقوق للجزائريين، وهو خطوة أولى ينبغي أن تليها خطوات أخرى، وانتقدت جانبه الإدماجي. في حين رفضه أصحاب الاتجاه الاستقلالي وندّد به مصالي الحاج كونه يتنافى وأفكاره الاستقلالية [311]. وبين رفض النواب الفرنسيين وضغط المستوطنين، ورفض بعض قادة الحركة الوطنية فشل المشروع، وبقي حبيس البرلمان إلى غاية وصول الجبهة الشعبية سنة 1936 للحكم وإعادة النظر فيه، خاصة أن صاحب المشروع أصبح عضوا في تشكيلتها، فعاود طرح المشروع، الذي تمت الموافقة عليه في أكتوبر 1936، وسيأخذ حيزا كبيرا من انشغالات المؤتمر الإسلامي [312].

كما حفّزت أحداث خارجية في دفع الحركة الوطنية إلى محاولة توحيد نشاطها. وبحكم أن النخبة الجزائرية لم تكن بمعزل عن الحركية السياسية والفكرية التي كانت بالعالم الإسلامي والعربي فقد تأثرت بالمؤتمرات الإسلامية التي عقدت في تلك الفترة والتي تستهدف تحرير الشعوب الإسلامية من الهيمنة الاستعمارية، ولم شمل المسلمين، كالمؤتمر الإسلامي بالقاهرة الذي انعقد شهر ماي 1926[313]، ومؤتمر

---

[309] – حسين آيت أحمد، **روح الاستقلال مذكرات مكافح 1952– 1942**، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ، 2002، ص. 67.

[310] – Jacques Chevallier, **Nous Algériens**, Ancien maire d'Alger, calman- lévy, 1958, p. 22.

[311] – بن يوسف بن خدة، **جذور أول نوفمبر 1954**، ترجمة مسعود حاج مسعود، الشطايبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012. ص. 88.

[312] – يوسف الخطيب، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 191 - 193.

[313] – ليفي بروفنسال، **الأمير شكيب أرسلان 1869– 1946**، ترجمة علي تابليت، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 1997، ص. 33– 34. ينظر أيضا: أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من الجزائر المعاصر**، تقديم أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص. 65.

الرابطة الدولية لمكافحة الإمبريالية عام 1927م[314]. وفي ديسمبر 1931 عقد مؤتمر القدس. وفي سبتمبر 1935 عقد مؤتمر مسلمي أوروبا بجنيف حضره ممثلين عن المسلمين المغتربين بأوروبا ، منهم طلبة من أفريقيا الشمالية [315]. وهي مؤتمرات التقى فيها المسلمون من مختلف البقاع، وكانت فرصة لالتقاء بعض الشخصيات المؤثرة، أمثال "شكيب أرسلان" الذي كان متواجدا بقوة في عدّة مؤتمرات إسلامية، والذي أثر في عدَّة شخصيات جزائرية، كابن باديس، والطيب العقبي، ومصالي الحاج. وبذلك تسربت روح المؤتمرات المعبّرة على الوحدة بين المسلمين الذين أنهكهم الاستعمار حتى وصلت إلى الجزائر عبر نخبة حاولت السير على خطاها.

وفي الفترة ذاتها شهدت فرنسا حدثا مميزا تمثل في وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم تحت رئاسة " ليون بلوم" في ماي 1936. وقد استبشرت الشعوب التي تعاني من وطأة الاستعمار الفرنسي بهذه الجكومة، آملة أن تكون فرصة لطرح مشاكلها بحرية، وتحقيق ببعض الحقوق التي طال بها الأمد وهي تطالب بها. وبالفعل بعد اعتلاء الجبهة الشعبية سدة الحكم نظرت في شأن الجزائريين، فأصدرت حكما بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين [316] وعلى رأسهم مصالي الذي كان ينشط في فرنسا باسم حزبه نجم شمال إفريقيا، والذي كان له دورا فاعلا في دعم حكومة الجبهة الشعبية في انتخابات 1936 [317]. كما باشرت حكومة الجبهة في معالجة بعض قضايا الجزائريين الاقتصادية والاجتماعية التي عرفت على إثرها الجزائر إضرابات ومظاهرات كثيرة سنوات 1930-1935. وهي ظروف أقنعت زعماء الحركة الوطنية بضرورة توحيد جهودهم من أجل إيصال مطالبهم إلى هذه الحكومة في ميثاق تجمع فيه وحدة الكلمة، وتنصهر فيه مطالب تيارات الحركة الوطنية.

---

[314] – شارل أندري جوليان، **أفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية**، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص. 32.

[315] – – عبد العزيز الثعالبي، **خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس 1350هـ-1931م**، إعداد أحمد بن ميلاد، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص. 256. ينظر أيضا: سعد الله، مرجع سابق، ص. 152.

[316] – بن خدة، مصدر سابق، ص. 76.

[317]– بن نبي مالك، **مذكرات شاهد للقرن القسم الأول: الطفل 1905-1930 القسم الثاني: الطالب 1930-1939**، دار الفكر، دمشق، سورية، 1984، ص. 358.

2 – حيثيات عقد المؤتمر الإسلامي:

تباينت الدراسات التاريخية حول صاحب أسبقية الدعوة لعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري، الذي يعد اللبنة الأولى لمحاولات توحيد جهود تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، فبعضها يرجعها لجهود الشيخ عبد الحميد بن باديس [318] الذي وجّه سنة 1925 نداء إلى العلماء الجزائريين من أجل الإتحاد، وعمل على إيجاد حلقة تربط كل تيارات الحركة الوطنية للعمل تحت جبهة واحدة تحمل انشغالات الجزائريين، وصرّح على إثر خطبة ألقاها بجامع الأخضر بقسنطينة بأنه ومن أجل المصلحة العامة للأمة فإنه من الضروري التآزر والإتحاد، وتناسي كل الخلافات التي تعيق الوحدة الوطنية [319]. فهذه الدراسات اتفقت على أن فكرة المؤتمر الإسلامي تعود للشيخ عبد الحميد بن باديس، ولاقت ترحيبا من طرف الدكتور بن جلول وفرحات عباس والأمين العمودي، الذي بدوره أذاع الفكرة في جريدته الدفاع.

في حين ترجع بعض الدراسات التي خاضت في موضوع المؤتمر الإسلامي الجزائري إلى أن فكرة عقده تعود إلى كتلة النواب بزعامة الدكتور " ابن جلول"، فالمؤرخ"محمد الميلي" يرى أن كتلة النواب طرحت الفكرة طرحت سنة 1935 لكنها لم تنجح في تطبيقها حسب رأيه لأن حركة النواب لم تكن حزبا بل كانت عبارة عن تكتل سياسي جمع فيه أيديولوجيات مختلفة. كما يرجع الفكرة لجهود الحزب الشيوعي في البحث عن جبهة توحّد فيها تيارات الحركة الوطنية [320]. أما المؤرخ"محمد الطيب العلوي" ذكر نقلا عن رواية سمعها من أحد أقارب الشيخ بن باديس أن ابن جلول طرح فكرة عقد المؤتمر على ابن باديس الذي استحسن الفكرة، فنقلها إلى العاصمة وأذاعها في جريدة الدفاع [321]، ويستشف من هذا، أن ابن جلول صاحب الفكرة، والشيخ بن باديس مطورها ومروّجها.

وعندما اختمرت الفكرة انعقدت جلسة تحضيرية بنادي الترقي، حضرها ممثلون عن الشبان الجزائريين، والنواب، وجمعية العلماء بهدف تحديد المسائل الوطنية التي سيعالجها المؤتمر، والسعي لتوحيد المطالب وتقريب وجهات نظر المؤتمرين. وتم الاتفاق على التركيز على التنديد بجرائم فرنسا وقوانينها التعسفية، والمطالبة بالحقوق السياسية الحساسة، خاصة ما يخص النيابة في البرلمان [322]. كما تم

---

[318] – منها دراسة: أحمد مريوش، محاضرات في تاريخ الجزائر 1900- 1945، ج2. محمد العربي ولد خليفة، المحنة الكبرى. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930.

[319] – بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص. 382.

[320] – محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص. 430-431.

[321] – محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954**، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ص. 157.

[322] – الميلي، مصدر سابق، ص. 442.

الاتفاق على إلغاء كل البرامج العتيقة التي رفعتها بعض الأحزاب سابقا تحت ظروف خاصة. وتقرر تسمية المؤتمر "بالمؤتمر الإسلامي الجزائري" الذي تنصب مطالبه في قالب جزائري يحافظ على الشخصية الجزائرية [323].

واختير الدكتور بن جلول باقتراح من ابن باديس لرئاسة المؤتمر عرفانا لجهوده السياسية، وحتى لا تظهر الجمعية أمام سلطات الاحتلال على أنها تخوض في أمور السياسة. وعيَّن "الأمين العمودي" نائبا له و"بن الحاج" كاتبا عاما. وتشكّل المكتب الذي ضم ممثلين عن النواب، والعلماء، والشبان [324]. وفي 7 جوان 1936 انعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري بقاعة الماجستيك (الأطلس حاليا) بالجزائر العاصمة، بحضور كوكبة من المنتخبين، والعلماء، والشيوعيين، وبعض الأعيان [325]، وشهدت القاعة حضورا كثيفا قدِّر بالآلاف [326].

افتتح الجلسة الدكتور عبد النور تامزالي، ثم تلاه رئيس الجلسة الدكتور بن جلول الذي وضح في خطبته أسباب انعقاد المؤتمر وغاياته، معتبرا قضية الجزائريين هي قضية الجبهة الشعبية المتكونة من الأحزاب الاشتراكية والراديكالية والشيوعية، مضيفا أن الوحدة التي بلغها المؤتمر الإسلامي ستحقق انتصارا يكون خير رد لكل منتقديه. وتوالى بعده على المنصة كل من ابن التهامي، والدكتور عبد الوهاب، وفرحات عباس. كما تقدم النائب العمالي لبسكرة "الدكتور سعدان" مضيفا مطلب ضرورة إلغاء المحاكم العسكرية، ليصبح القسم الجنوبي مدني [327]، ثم تدخل عبد الحميد بن باديس، وبيّن قيمة هذا الاجتماع في تاريخ الجزائر، ثم عرض مطالب العلماء المصلحين، التي تركزت حول مسألة المحافظة

---

[323] – مومن العمري، **الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926– 1954**، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2003، ص. 52. ينظر أيضا: محمد خير الدين، **مذكرات الشيخ محمد خير الدين في جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطنية ومجلس الثورة الجزائرية**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص. 331.

[324] – البصائر، عدد 38، السنة الأولى، 9 أكتوبر 1936. ينظر أيضا: – الشهاب، مج. 12، السنة 12، 1936- 1937، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص. 230.

[325] – مثّله عن عمالة الجزائر: الطيب العقبي، الأمين العمودي، عبد الوهاب بشير، الحاج عمر فرشوخ، عبد الرحمان بوكردنة، تامزالي عبد النور، عمار أوزقان، وابن الحاج. عن عمالة وهران: البشير الإبراهيمي، بن عودة باش تارزي، عبد الرحمان بوشامة، محمد قاضي محامي، طالب عبد السلام. عن عمالة قسنطينة: عبد الحميد بن باديس، محمد الصالح بن جلول، فرحات عباس، طهرات العربي، إبن القليعة إبراهيم. وعن المنطقة العسكرية أحمد سعدان.

[326] – البصائر، عدد 23، مصدر سابق، ص. 186. ينظر أيضا: الميلي، مصدر سابق، ص. 314.

[327] البصائر، عدد 24، السنة الأولى، ص. 193.

على الدين الإسلامي واللغة العربية [328]، وتلاه "الشيخ الإبراهيمي" الذي أثَّر في الحضور بخطبة نوه فيها إلى ضرورة المحافظة على الدين الإسلامي، وبعده خطب "الطيب العقبي" منددا بممارسات فرنسا القمعية، وبالقوانين الاستثنائية التي سلطت على الجزائريين. أما الجلسة المسائية فقد خصصت للمصادقة على مطالب كل جهة. وبعد المناقشات، صيغ "ميثاق الشعب الجزائري" تضمن مجموعة مطالب تمحورت أساسا حول:

– إلغاء القوانين الاستثنائية المطبّقة فقط على المسلمين، والمحاكم التعسفية. وإلغاء الإدارات الاستثنائية التي لا توجد بفرنسا، وإلغاء الولاية العامة، ومجلس النيابة المالية ونظام البلديات المختلطة.

– حق تمثيل الأهالي المسلمين في البرلمان بنسب متساوية مع أوربيي الجزائر. وحق الترشح والتصويت.

– إلغاء قانون الأحوال الشخصية، وإعادة تنظيم إدارة القضاء الإسلامي تنظيم يتفق وروح الشريعة الإسلامية. واعتبار اللغة العربية لغة رسمية تكتب إلى جانب اللغة الفرنسية في كل المناشير الرسمية.

– إجبارية التعليم الابتدائي للجزائريين [329].

– تخصيص ميزانية للمساجد تشرف على تسييرها جمعيات دينية لا تتدخل الحكومة الفرنسية فيها، إلى جانب تأسيس كلية لعلوم الدين تهتم بتدريس الأئمة.

– توزيع المساعدات الناتجة عن الميزانية الجزائرية للزراعة والتجارة والصناعة الحديثة والصناعة التقليدية حسب الحاجة، وإنشاء تعاونية زراعية، ومراكز تثقيف الفلاح.

– العفو على الجنح السياسية.

وتقرّر تأسيس لجان تمثل النواب، والعلماء، والشبان عن العمالات الثلاث للجزائر، تختار لجنة تنفيذية مهمتها العمل على تنفيذ مطالب المؤتمر، وتدوينها لترفع إلى السلطات الفرنسية بباريس. تشكلت هذه اللجنة من واحد وعشرون عضو، يمثل كل جهة تسعة أعضاء، بالإضافة إلى ثلاث شخصيات من الشبان، وتم اختيار بن جلول رئيسا للجنة والأمين العمودي نائبا له، وابن الحاج (من الشبان) كاتبا عاما بووكردنة (من النخبة) أمينا للمال. كما تقرر تعيين أعضاء للسفر إلى باريس من أجل إيصال مطالب المؤتمر الإسلامي [330].

---

[328] – عبد الحميد زوزو، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)**، مج. 5، ديوان المطبوعات الجامعية، ص.14. ينظر أيضا: سعد الله، مرجع سابق، ص. 155.

[329] – الشهاب، مصدر سابق، ص. 255.

[330] – الخطيب، مرجع سابق، ص. 247.

وبذلك نجح المؤتمر في ضمّ تيارات متباينة في مطالبها وتوجهاتها الإسلامية، والنخبوية، الليبيرالية، والشيوعية، بينما لم يشارك حزب النجم في المؤتمر الإسلامي بحكم أنه كان ينشط بفرنسا تلك الفترة، ولعدم توافق الخط الذي سار عليه المؤتمر وأيديولوجيته الاستقلالية، ما جعله يعارض مطالب المؤتمر الإسلامي، ويدعوا إلى السير بالجزائر نحو طريق الاستقلال.

وبعد إتمام هذه الترتيبات توجّه الوفد وعلى رأسه فرحات عباس، وبن جلول وابن باديس يوم 18 جويلية إلى باريس، حاملين مطالب الشعب (ميثاق الشعب)، وكان "موريس فيوليت"في استقبالهم ومرافقتهم إلى إقامتهم بنزل"جراند هوتيل"، وفي هذا الصدد يذكر " مالك بن نبي" أنه توجه رفقة أصدقائه لمقابلة أعضاء الوفد، فلاحظ أنهم يجلسون في حلقات وكأنهم ليسوا وفدا أتى من مكان واحد لغرض واحد.فكان يجلس أصحاب العمائم في مجموعة، وفي الجانب الآخر يجلس أصحاب الطربوش [331]. وفي اليوم الموالي من وصوله لباريس باشر الوفد زياراته لرجال الحكومة لعرض مطالب المؤتمر الإسلامي عليهم. أتيحت للوفد في هذه الزيارة فرصة مقابلة "موريس فيوليت" الذي قدمت له مطالب الشعب الجزائري [332]. كما طرحت المطالب على الكاتب العام للشؤون الداخلية، الذي أبدى تعاطفه مع مطالب الجزائريين، خصوصا مطلب المساواة في التعامل مع الجزائريين مثلما يعامل الأوربيين، ووعدهم بالنظر في أمر القوانين الاستثنائية. كما كان المتطرف اليميني "م. دالادي" في استقبالهم، وعبّر عن رفضه القاطع لمنح الجزائريين النيابة بالبرلمان في حال تمسكهم بأحوالهم الشخصية. في حين استقبلهم السيد "بلوم" معبرا عن فرحته بهذا الاجتماع الذي ضمَّ فرنسيين مع فرنسيين. بالإضافة إلى ذلك قابل الوفد رؤساء الحزب الاشتراكي، والحزب الشيوعي اللذان أيدا مطالب المؤتمر على خلاف الحزب الراديكالي الذي اقترح إرسال لجنة برلمانية تبحث في قضايا الجزائريين [333].

وبعد عودة الوفد إلى الجزائر نظّم يوم 2 أوت 1936 نظّم تجمع شعبي قدّم فيه تقريرا عن سير مهمته بباريس، وقد صادف هذا اليوم عودة مصالي الحاج إلى الجزائر، فالتقت بذلك كل تيارات الحركة الوطنية. خطب أعضاء الوفد كل بدوره، وغمر خطبهم نوع من التفاؤل [334]. كما طلب مصالي الحاج

---

[331] – مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن القسم الأول: الطفل 1905–1930 القسم الثاني: الطالب 1930–1939**، دار الفكر، دمشق، سورية، 1984، ص. 365- 366.

[332] - Julien Fromage, **L'Algérie vivra–t– elle ? ou le projet Blum– viollette au temps du Front populaire**, mémoire de fin d' études, Bruno Benoit, Institut d'Etudes politiques de Lyon, université lumière lyon II , juin 2003, p. 29.

[333] – البصائر، عدد 38، السنة الأولى، 9 أكتوبر1936، ص. 3.

[334] – محمد الميلي، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980، ص. 25.

إلقاء كلمة فسمح له الشيخ بن باديس، فقام وخطب باسم حزبه "نجم شمال إفريقيا" معبرا عن رفضه لمطلب إلحاق الجزائر بفرنسا، ورفض مطلب التمثيل النيابي، ومشروع بلوم فيوليت، ورغم رفضه للطريقة التي عقد بها المؤتمر الإسلامي، إلا أنه أيَّد بعض المطالب التي وردت في ميثاقه، كإلغاء المجلس المالي، ومنصب الوالي العام. وطلب من الشعب الجزائري ألا يأمل كثيرا بأن فرنسا ستحقق له مطالبه التي قدمها وفد المؤتمر الإسلامي [335]، وما أن انتهى من خطابه حتى انحنى وأخذ حفنة تراب قائلا: "إن هذه الأرض ليست للبيع، فالشعب هو صاحبها ووارثها، البلاد لا تدمج ولا تستعاب" فقام الحاضرون وصفقوا له هاتفين باسمه؛ وبهذا يكون النجم قد دخل الحياة السياسية في الجزائر من بابها الواسع [336].

3 – أزمة المؤتمر، وتباين مواقف المشاركين فيه:

أثار نشاط الحركة الوطنية، ومحاولة الأحزاب على الإتحاد وعقد مؤتمر جامع انزعاج سلطات المحتل فعملت على عرقلة هذه الحركية، ونسجت المكائد. ومن أخطر تلك المكائد التي استهدفت المؤتمر الإسلامي حادث اغتيال المفتي "بن كحول" الذي اغتيل في الوقت ذاته الذي كان فيه الشعب الجزائري في الملعب البلدي يحضر خطابات الوفد العائد من باريس، واتهم الشيخ "الطيب العقبي" بذلك [337]، وألقت الشرطة القبض عليه رفقة عباس التركي بتهمة استئجار القاتل [338]، ومكثا بسجن بربروس مدة ستة أيام بعد تراجع "عكاشة" الذي كان قد اعترف أنه مأمور بقتل المفتي بن كحول من طرف الشيخ العقبي مقابل مبلغ من المال، وعلى إثر هذا الاعتراف تم الإفراج عنهما [339]. يتضح جليا بأن هذه القضية كانت مكيدة نسجتها الإدارة الاستعمارية لضرب التجمع الوطني الذي لم تعرف الجزائر له مثيلا منذ احتلالها.

خلقت قضية اتهام العقبي حالة من التباين بين مدافع ومحرِّض. ومن تلك المواقف موقف مصالي الحاج الذي دافع عنه وكذّب هذا الاتهام، فقام بتجميع الجزائريين المقيمين بباريس من أجل الاحتجاج، الأمر الذي أحدث تقارب بين جمعية العلماء وحزبه، لكن هذا التقارب لم يعمِّر طويلا، فقد شابه التوتر

---

[335] – بنيامين سطورا، **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898– 1974**، ترجمة صادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة، حيدرة، الجزائر، 1999، ص. 142.

[336] – محفوظ قداش، **الحركة الوطنية الجزائرية 1919– 1939**، ترجمة أمحمد بن البار، ج1، دار الأمة، الجزائر، ص. 676.

[337] – محمد بهى الدين سالم، **ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير**، دار الشروق، مصر، 1999، ص.58.

[338] – محمد الطاهر فضلاء، **الطيب العقبي: رائد لحركة الإصلاح الديني في الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص. 64- 65.

[339] – البصائر، عدد 31، السنة الأولى، 7 أوت 1936، ص. 289.

خلال انعقاد المؤتمر الإسلامي الثاني في جويلية 1937 بسبب منع مصالي من المشاركة فيه [340]، كون أعضاء جمعية العلماء يعتبرونه جاهلا بعيدا عن الإسلام لأنه متزوج بفرنسية [341]، في حين يؤكّد ابن باديس أن موقف الجمعية من النجم كان موقفا حيادا، ولا يقف بينهما سوى أسلوب العمل [342].

ومن أسباب فشل المؤتمر الإسلامي كذلك تصريحات ابن جلول بمرسيليا ردا على سؤال طرحته عليه الصحافة حول علاقة اتحادية النواب بالجمعية، فصرّح بأن النواب لا علاقة لهم بمن تلطخت أيديهم بالدماء [343]. في حين ذكرت الجمعية بأن بن جلول أكّد بأن الحوادث المتطرفة من صنيع الشيوعيين، وأحيانا تتهمه بأنه من كان وراء مقتل ابن كحول. ورغم ثبوت براءة العقبي فإن ابن جلول بقي بفرنسا، وشكّل وفدا جديدا من النواب، وقدَّم مطالب غير التي تم الاتفاق عليها في المؤتمر [344]. وكل هذا أدى إلى فشل المؤتمر الإسلامي.

ومن بين المكائد الرامية إلى إفشال المؤتمر الإسلامي كذلك محاولة إطلاق النار على الشيخ "أحمد الحبيباتي". كما تعرض أعضاء الجمعية في الجزائر العاصمة سنة 1937 إلى المنع من أداء نشاطهم، وأغلق نادي الترقي ونادي بلكور بالعاصمة، ونادي شرشال بالبليدة. لكن الجمعية لم تستسلم لهذا الوضع، فقام الشيخ الأمين العمودي رفقة الشيوخ ابن باديس والإبراهيمي وابن الحاج وغيرهم بزيارات إلى مختلف ربوع الوطن من أجل التعريف بالمؤتمر الإسلامي وكسب المزيد من الأنصار. كما أعادوا فتح العديد من الأندية. وبذلك استمرت الحركة الإصلاحية في نشاطها [345].

كما أن حكومة الجبهة الشعبية، ورغم تواضع مطالب المؤتمر الإسلامي إلا أنها استكثرت قبول مطلب الاندماج مع فرنسا في حالة المحافظة على الأحوال الشخصية، وبالتالي فشلت مساعي النخبة

---

[340] – علي غنابزية، "**علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحزب الشعب الجزائري (1936– 1954)**"، مجلة المصادر، مركز الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عدد 21، السداسي الأول، 2010، ص. 64.

[341] – مصالي الحاج، **مذكرات 1898– 1938، ترجمة محمد المعراجي**، منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة رغاية، الجزائر، 2007.، ص. 233.

[342] – عبد الرحمان دويب، **حوار مع الإمام ابن باديس**، مجلة العصر، عدد خاص، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، إصدار المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية EPIC، القبة، الجزائر، ص. 7.

[343] – بن نبي، مصدر سابق، ص. 368.

[344] – البصائر، عدد 40، السنة الأولى، 23 أكتوبر 1936، ص. 323.

[345] – البصائر، عدد 41، 30 أكتوبر 1936، ص. 330. ينظر أيضا: خير الدين محمد، **مذكرات الشيخ محمد خير الدين في جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطنية ومجلس الثورة الجزائرية**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص. 340.

الاندماجية فعاد بذلك الوفد الجزائري خائبا، وسرعان ما تعززت الخيبة بالانشقاق الذي حدث وسط أعضاء المؤتمر [346].

4 – المؤتمر الإسلامي الثاني، وفشل مسعى الوحدة:

حاولت الحركة الوطنية استدراك إخفاقات المؤتمر الأول، فدعا البشير الإبراهيمي إلى عقد مؤتمر إسلامي ثان، والذي عقد مطلع جويلية 1937 بنادي الترقي. غاب عنه حزب الشعب بسبب منعه من حضور الاجتماع [347]. كما لم يحضره ابن جلول الذي تمت تنحيته من رئاسة المؤتمر [348]. عُقدت الجلسة الأولى يوم 9 جويلية، وتلتها عدة اجتماعات سادها التوتر بين أعضاء المؤتمر بسبب عدم الاتفاق فيما إذا يحوّل المؤتمر إلى حزب سياسي، أم يبقى تجمعا شعبيا.ثم عرف المؤتمر فراغا وانقساما بانسحاب فدرالية المنتخبين لعمالة قسنطينة، وعارض ابن جلول تواجد الشيوعيين فيه، ثم انسحب ستة أعضاء من الهيئة التنفيذية، وانسحب البشير عبد الوهاب من رئاسة المؤتمر، ولما انتُخب الشيخ بن باديس لرئاسته رفض بحجة عدم رغبته في الانشغال عن أمور التعليم والإرشاد الديني الذي نذر حياته له، وبذلك بقي المنصب شاغرا [349].

وبسبب هذه الانتكاسات تقرر عقد اجتماع انبثق عنه وفد جديد خرج بمجموعة قرارات، منها تجديد ثقتهم في الجبهة الشعبية، واستمرارية التواصل والتشاور معها، مع اعتبار أن قراراتها ناقصة، وحثها على تطبيق العدالة الاجتماعية. كما أكد الحاضرون على تمسكهم بمطالب المؤتمر الإسلامي الأول [350].

وبالرغم من بساطة مطالب المؤتمر إلا أن الإدارة الاستعمارية تجاهلتها، والتزمت الصمت، ثم عيَّنت لجنة تحقيق، لكن الشيخ بن باديس تفطن إلى أن هذا مجرد أسلوب للمماطلة من جديد، وعلى إثر ذلك أذاعت جريدة الدفاع "La Défense" دعوة لعقد اجتماع الهيئة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي يوم 29 أوت 1937 على الساعة التاسعة صباحا بالجزائر العاصمة، ونشرت المحاور

---

[346] – تركي رابح عمامره، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، منشورات ANEP، طبعة خاصة، 2001، ص. 103.

[347] – مصالي، مصدر سابق، ص. 232.

[348] – عبد القادر حميد، مرجع سابق، ص. 77.

[349] – شارل روبير أجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير**، ترجمة المعهد العربي العالي، مج. 2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2013، ص. 706- 707.

[350] – صالح بالحاج، **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910– 1939**، بن مرابط، [د- ن]، 2015، ص. 388-389.

الأساسية للاجتماع، التي تمثلت في استقالة المسؤولين المنتخبين من الهيئات الاستعمارية تنفيذا لطلب المؤتمر الثاني، والنظر في استئناف الشيخ بن باديس.

وبعد هذا الاجتماع تقرر استقالة النواب، وعدم اشتراكهم في المجالس الاستشارية، وفي حالة لم يستقيلوا ستتم تنحيتهم من المؤتمر الإسلامي. وتمت تلبية هذا المطلب باستقالة عدد من النواب. وفي انتخابات أكتوبر فاز ابن جلول بأغلبية الأصوات. وفازت كذلك فدرالية منتخبي قسنطينة ب 10 أعضاء استقالوا بعد فوزهم للضغط على حكومة فرنسا، لكن الوضع لم يستمر كثيرا، فما لبث عدد منهم أن عاد لأحضان المجالس النيابية، الأمر الذي أعاد الخصومة بينهم وبين أعضاء الجمعية. ورغم كل هذه الضغوطات التي مارسها المؤتمر الإسلامي على الحكومة الفرنسية إلا أنها رفضت مناقشة مشروع بلوم–فيوليت، فحلّ اليأس بأفراد المؤتمر.

وبذلك لم تتمكّن أول محاولة وحدوية من الصمود، فتقرر إنهاء المؤتمر الإسلامي، وعمل زعماء الحركة الوطنية على إعادة بعثه كل وفق أيديولوجيته، فسارعت شبيبة المؤتمر الإسلامي إلى إنشاء "الحزب الوطني الإسلامي الجزائري" في سبتمبر 1937، وقرّر الحزب الشيوعي إنشاء "الجبهة الفرنكو- جزائرية" سنة 1939، وأعلن حزب الشعب هو الآخر عن إنشاء "جبهة إسلامية جزائرية" في مارس 1938، واقترح ابن جلول إنشاء "تجمع فرانكو–إسلامي جزائري" يجمع المنظمات الفرنسية والجزائرية، في حين حاول فرحات عباس تأسيس حزب سياسي جزائري أهلي، لكن كل تلك المحاولات تبخرت مع اندلا ع الحرب العالمية الثانية [351].

ورغم ذلك فإن المؤتمر الإسلامي يعتبر أول محاولة وحدوية سعت من خلاله تيارات الحركة الوطنية استغلال المتغيرات الداخلية والخارجية لإسماع صوتها ورص صفوفها، واستطاع وفد المؤتمر نقل مطالب الجزائريين لحكومة الجبهة الشعبية، ورغم تخاذلها، فإن هذه التجربة قد كشفت الوجه الحقيقي لهذه الحكومة. وبهذا تفطَّن من كان يأمل تحقق الاندماج مع فرنسا، حيث تبين أنها مجرد إصلاحات للمماطلة ليس إلاَّ، كما تأكّد بأن المؤتمر الإسلامي الذي تأسّس بسرعة لم يكن مهيكلا بما يكفي للصمود أمام مكائد فرنسا، وهو ما أدى في النهاية إلى فشل هذه التجربة الوحدوية، والتي سيحاول قادة الحركة الوطنية إحياؤها لاحقا في مرحلة من مراحل نضالهم ضد الوجود الاستعماري.

[351] – صالح بلحاج، مرجع سابق، ص. 394- 395، 710.

خـاتمة

من خلال عرض هذه المواضيع التي تتبعت جذور الوعي السياسي في الجزائر، وتبلوره حتى بلغ مرحلة النضج، وأفرز تيارات سياسية ستكون لبنة الحركة الوطنية الجزائرية نخلص إلى أنه:

منذ أن دنّست أقدام المحتل الفرنسي أرض الجزائر، خاض الشعب الجزائري ضدّه مقاومات بمختلف أشكالها، فبعد فشل المساعي الأولى السلمية التي خاضتها النخبة الحضرية في كبح التوسع الاستعماري، اندلعت ثورات شعبية مسلحة دامت أكثر من نصف قرن، دفع فيها الشعب ضريبة باهضة من الأرواح نتيجة الإبادة والجرائم الوحشية التي انتهجها المستعمر المتفوق عدّة وعتادا، والمدعم من طرف الكتلة الاستيطانية التي استقدمها ومكّن لها على حساب الجزائريين أصحاب الأرض. وهي ممارسات أجبرت الجزائري على الانطواء على ذاته مؤقتا دون أن يستسلم، فقد واصل المقاومة بوسائل أخرى رافضا الواقع الاستعماري المفروض عليه، منتهجا أسلوب المقاومة المعنوية لمواجهة السياسة الاستعمارية في شقها الأخطر، المتمثّل في محاولة تدمير روح المقاومة، والقيم الوطنية للأمة الجزائرية.

غير أنه وخلال الثلث الأخير من القرن التاسع عادت الحياة العلمية والثقافية إلى الساحة في الجزائر، وانتعشت مطلع القرن العشرين بعد أن كادت تختفي، وذلك بظهور نخبة جزائرية كان هدفها الأول إحياء الدين الإسلامي واللغة العربية، على الرغم من تضييق الإدارة الفرنسية التي منعتهم من التعليم، لذلك حملت النخبة على عاتقها الوقوف في وجهها والتصدي لها دفاعا عن بني جلدتهم

ومع مطلع القرن العشرين شهدت الجزائر يقظة فكرية وملامح تشكّل نهضة ثقافية، ودينية كانت تعبيرا عن رفض الجزائريين للاستعمار وسياساته، وتأكيدهم على تعلّقهم بهويتهم الجزائرية، وتشبّثهم بأرضم، وقد تمظهرت هذه اليقظة في بروز نخبة من العلماء والمصلحين والمجدّدين خلقوا حركية ثقافية وفكرية تجلّت في أنشطتهم، وجهودهم التوعوية من خلال نشر الموعظة ودروسهم في المساجد، والمدارس، وإنشاء الصحافة الوطنية، والجمعيات والنوادي. وبرز على الساحة الجزائرية تياران يتفاعلان

سياسيا، ولكل تيار برنامجه وأهدافه، ويطلق على التيار الأول المحافظون، الذي يمثله أنصار الجمع بين الأصالة والحداثة، وهم أولئك الذين تلقوا ثقافة عربية إسلامية في المدارس الحكومية الثلاث التي أنشئت سنة 1850 أو تخرجوا من المعاهد الإسلامية أمثال الزيتونة والقرويين والأزهر، أو من الزوايا المحلية بعد انفتاح رجالها على شؤون العصر، أطلق عليهم تسمية (المحافظون) لانتهاجهم أسلوب المحافظة على أصالة الطابع الإسلامي للجزائر مع الاستفادة من تجارب الأوروبيين وعلومهم. ويطلق على التيار الثاني جماعة النخبة، تكون معظم أفرادها في المدارس الفرنسية، نادوا بالاندماج الفعلي في فرنسا، وطالبوا بالمساواة في الحقوق والواجبات بين الأهالي الأوروبيين، وقبلوا الخدمة العسكرية، شرط الحصول على الحقوق السياسية والمدنية. ومن صفوف جماعة النخبة ظهرت جماعة كانت أقرب إلى حزب سياسي منها إلى طبقة اجتماعية متميزة، عرفت باسم (لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين).

وقد أوشك المحافظون والنخبة أن يشكلا حزبين متنافسين على الساحة السياسية الجزائرية لولا اندلا ع الحرب العالمية الأولى، وإعلان إدارة الاحتلال حالة الطوارئ في البلاد، وتوقفت الصحف وأغلقت النوادي، وكبلت حرية التعبير، وأخذ الشباب عنوة إلى لخدمة المجهود الحربي الفرنسي .

غير أن هذه الحرب بانعكاساتها العميقة، زادت الجزائريين رصيدا من الخبرة والوعي. وهي ظروف هيأت لظهور نخب تحمل مشعل رواد هذه اليقظة ستعطي للنضال الوطني دفعا قويا وزخما جديدا أفضى إلى ظهور وتبلور الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف توجهاتها. بدءً من ظهور أول تشكيلة سياسية بقيادة الأمير خالد، التي شكّلت ميلاد مختلف التشكيلات السياسية الوطنية والنخب الوطنية، التي اختلفت مشاربها وتوجهاتها، فشكّلت كلها حركة وطنية متنوعة لعبت دورا كبيرا في مواصلة النضال الوطني بأسلوب سياسي أفضى إلى تبلور الوعي الوطني وتفجير ثورة أول نوفمبر 1954.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

- باللغة العربية:

1- المصادر:

- ابن حبيلس شريف، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة عبد الله حمادي وآخرون، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- ابن الخوجة محمد بن مصطفى، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة (1283-1333هـ / 1865-1915م) ، جمعه على تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2012.

- .....، الاكتراث في حقوق الإناث، فونطانة، الجزائر، 1895.

- .....، مجموع مشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات سديدة، بيير فونطانة، الجزائر، 1902.

- ابن العنابي محمّد بن محمود، السعي المحمود في نظام الجنود، تقديم وتحقيق محمّد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.

- بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، الشطايبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012.

- الثعالبي عبد العزيز، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس 1350هـ-1931م، إعداد أحمد بن ميلاد، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

- خوجة، حمدان بن عثمان، المرآة، (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيّالة الجزائر)، عرّبه وعلّق عليه محمّد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972.

- خوجة حمدان بن عثمان، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، تحقيق وتقديم محمّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، الجزائر، 1968.

- المجاوي عبد القادر، المرصاد في مسائل الاقتصاد، تقديم علي تابليت، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012.

- .....، اللمع على نظم البدع، شرح على منظومة البدع للعالم الشيخ محمّد المولود بن الموهوب، مطبعة فونطانة، الجزائر، 1912.

- .....، شرح الشيخ العلامة المجاوي لمنظومة العارف بالله سيدي محمّد الإمام المنزلي في آداب المريدين، بعناية عبد الرحمن دويب، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

- المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.

- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، دار الكتاب، الجزائر، ط.2، 1963.
- مصالي الحاج، مذكرات 1898- 1938، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة رغاية، الجزائر، 2007.
- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تحقيق أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.
- جريدة الشهاب، السنة الأولى، قسنطينة، 13 ماي 1926. الشهاب، مج. 12، س12، 1936- 1937. المجلد 13، سنة 13، 1937- 1938، قسنطينة.
- مجلة البصائر، السنة الأولى 1936، عدد 23. 30. 31. 33. 38. 40، عدد 41.

2 - المراجع:

- كتب منشورة:

- ابن صالح ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، منشورات ألفا، الجزائر، ط2، 2006.
- ابن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج. 1، (1920 - 1936)، منشورات السائحي، الجزائر، ط.2، 2008.
- ابن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1830 – 1954، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- إحدادن زهير، أعلام الصحافة الجزائرية، ج 3، دار احدادن للنشر والتوزيع، الجزائر.
- الأشرف مصطفى، الجزائر، الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- أوليفيه لوكور غرانميزون، في نظام الأهالي، ترجمة العربي بوينون، منشورات الشائحي، الجزائر 2011.
- آيت أحمد حسين، روح الاستقلال مذكرات مكافح 1952- 1942، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ، مطبعة الصنائعي، 2002.
- بجاوي محمّد الصالح، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830 – 1918، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- برنيان أندري، وأندري نوشي وايف لكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة :اسطنبولي ا ربح وآخرون، المؤسسة المطبعية الرغاية، الجزائر، 1984.
- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830 – 1989، ج. 1، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006.
- بلحاج صالح، الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910-1939، دار بن مرابط للنشر، الجزائر، 2015.

- بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين 1881- 1914 (دراسة نماذج من التشريعات وتطبيقها على الجزائريين بالقطاع الوهراني)، دار سنجاق الدين للكتاب، 2013.
- بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن القسم الأول: الطفل 1905-1930 القسم الثاني: الطالب 1930-1939، دار الفكر، دمشق، سورية، 1984.
- بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898- 1974، ترجمة صادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة، حيدرة، الجزائر، 1999.
- بوعزيز يحي، تاريخ الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- بروفنسال ليفي، الأمير شكيب أرسلان 1869- 1946، ترجمة علي تابليت، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 1997.
- بوعزيز يحي، الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912- 1948م)، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، منشورات ANEP، طبعة خاصة، 2001.
- تميم آسيا، الشخصيات الجزائرية، 100 شخصية، دار المسك للنشر، الجزائر، 2018.
- جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة، لبنان، 1984.
- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج. 4، ديوان المطبوعات الجامعية، ط.7، الجزائر، 1994، ج5، دار الأمة، لجزائر،2007.
- حاجي فريد، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837- 1937) المنطلق السيرورة، المآل، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2013.
- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزئر، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
- خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830- 1862، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2009.
- الخرفي صالح، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، ج.1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- الخطيب يوسف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- خليفي عبد القادر، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830- 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

- خياطي مصطفى، حقوق الإنسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، منشورات (ANPA)، الجزائر.
- خير الدين محمد، مذكرات الشيخ محمد خير الدين في جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطنية ومجلس الثورة الجزائرية، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985.
- دبوز محمّد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر (1921 - 1975)، ج. 2، مطبعة البعث، قسنطينة، 1978.
- .....، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج. 1، المطبعة التعاونية، دمشق، 1965.
- دويب محمّد، الأعمال الكاملة لمحمّد بن مصطفى بن الخوجة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012.
- الزبير سيف الإسلام، رواد الصحافة الجزائرية، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1981.
- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930، ج.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- .....، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954، ج. 3، 4، 5، 6، 7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- .....، أفكار جامحة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- .....، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2، دار البصائر، الجزائر، 2007.
- .....، رائد التجديد الإسلامي، محمّد ابن العنابي، صاحب السّعي المحمود ، ط.2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د- ت).
- .....، خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة والتحرير 1830 – 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.
- .....، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الإحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 1982.
- شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
- شارل روبير آجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، مج. 2، ترجمة عياش سليمان، دار الأمة، م الطبعة الأولى، 2008.
- شرفي عاشور، معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)، تنسيق ومراجعة مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، الجزائر، 2004.

- صاري الجيلالي، محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900 – 1954: الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
- صاري الجيلالي، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: عابد فوزية، دار غرناطة الجزائر،1984.
- .....، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850 - 1950)، ترجمة عمر المعراجي، منشورت ANEP، الجزائر، 2007.
- الصديق محمّد الصالح، أعلام المغرب العربي، ج. 1، موفم للنشر، الجزائر، ط. 2، 2008.
- ضيف الجيلاني، بناة المجد عبد الحميد بن باديس، دار الخليل، الجزائر، 2019.
- عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- عمّورة عمّار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، الجزائر، 2002.
- العمري مومن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926- 1954، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2003.
- الفرحي بشير كاشة، مختصر ووقائع وأحداث ليل الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830-1952، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر،2007.
- فضلاء محمد الطاهر، الطيب العقبي رائد لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- فيلالي عبد العزيز، اعتداء اليهود على أهل قسنطينة سنة 1934، أبعاد الصهيونية ورد الفعل الوطني والعربي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2014.
- قداش محفوظ، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830 – 1954، ترجمة محمّد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.
- قداش محفوظ، جيلالي، صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830- 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
- .....، الأمير خالد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- .....، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 – 1939، ج.1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- قنان جمال، دراسات في التاريخ المعاصر، م. 6، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
- قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 - 1962)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دار هومة، الجزائر.
- مقلاتي عبد الله، في جذور الثورة الجزائرية ومقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى الفاتح من نوفمبر 1954، وزارة الثقافة، الجزائر.

- .....، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962، وزارة الثقافة، الجزائر،2013.
- مرمول محمد الصالح، قوانين إدارية فرنسية في الأقاليم المغاربية(تونس- الجزائر- المغرب) ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2013.
- مريوش أحمد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، مؤسسة الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- مزيان سعدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871-1914، ج1، دار سانجاق، الجزائر، 2010.
- مناصرية يوسف، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 – 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- مهساس أحمد، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلّحة، ترجمة الحاج مسعود مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.
- مواعدة محمّد، محمّد الخضر حسين، حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.
- مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830ـ 1962م)، دار هومه، الجزائر، ط 3، 2016.
- الميلي محمد، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- الميلي محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980.
- .....، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد للفرنسي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2017.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، لبنان، ط. 2، 1980.
- نويهض عادل، المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850-1912، دراسة تاريخية واجتماعية، دار الأدبي، وهران، 2006.
- نيكولاي، ديالوف، حركة الفتيان الجزائريين في مطلع القرن العشرين، ترجمة عبد العزيز بوباكير، أمدوكال للنشر، الجزائر، 2015.
- ولد خليفة محمّد العربي، المحنة الكبرى، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،1999.
- يزلي عمر، الثقافة في مواجهة الاحتلال، منشورات السهل، الجزائر، 2009.

- المقالات:

- آيت حبوش حميد، "قانون التجنيد الإجباري 1912، دراسة في ظروف صدوره، وموقف الجزائريين منه"، الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد 2، سبتمبر 2018.

- بن حمودة مراد، "المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866ـ 1933م)"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج 03، ع 06، ديسمبر 2017.
- بن يوسف فاطمة، قلفاط عبد الباسط، "الشيخ محمّد بن مصطفى بن الخوجة وجهوده الإصلاحية في الجزائر (1865 - 1915) من خلال وثائق جديدة"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلّد 6، عدد 1، 2022.
- بوجلول نصيرة، عبد الغفار بن نعمية، تحليل وثيقة فقهية لابن زكري المالكي (1914) حول صحّة الوقف، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلّد 13، العدد 1، جوان 2018.
- بودن غانم، "سي أمحمد بن رحال ودوره في الدفاع عن قضايا الجزائريين"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، عدد 17، 2017.
- حامد لمين إبراهيم، "السياسة التعليمية الفرنسية بين الأهداف الاستعمارية وتكوين النخب المثقفة في الجزائر (1830- 1962) فرحات عباس نموذجا"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، جامعة غرداية، العدد السادس، ديسمبر 2018.
- حفاف فضيلة، بديدة لزهر، "من رواد الوطنية في الغرب الجزائري، سي أمحمد بن رحال، (1856 - 1928)، ونضاله من أجل تعليم الجزائريين"، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، مجلّد 14، عدد 3، 2022.
- دراوي محمد، " أضواء على حياة ومواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الإصلاحية (1866ـ 1933م)"، مجلة عصور، عدد 36، جويلية سبتمبر 2017.
- ديلمي عزوز، " وزن المستوطنين في السياسة الاستعمارية، مواقف صحافة مستوطني عمالة قسنطينة بين الحربين العالميتين"، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 37، جوان 2012.
- سعودي أحمد، "النخبة الاندماجية في الجزائر ومسألة التجنيد الإجباري (1912- 1918م) "، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، ع4، مارس 2018.
- صافر فتيحة، "ظهور حركة الشبان الجزائريين"، عصور الجديدة، المجلد 8، العدد 1، شتاء – ربيع 2017 – 2018.
- عوادي مسعود، حمدان خوجة، تأثره بالفكر الأوربي، ونظرته إلى الاحتلال الفرنسي (بين إنسانية أفكار الثورة الفرنسية وجرائم الاستعمار)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، عدد 15 – 16، الجزائر، 2013.
- فغرور دحو، "جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية"، عصور الجديدة، العدد 1، جامعة وهران، 2011.

- الواعر صبرينة، " الصحافة الأهلية أواخر القرن التاسع عشر، الحق البوني أنموذجا (1893 - 1894)"، مجلة المعيار، مجلّد 25، عدد 59، سنة 2021.

- الرسائل والأطروحات الأكاديمية:

- بلحاج الصادق، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والاستقلالي 1919-1939، مذكرة ماجيستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2012.
- بلحاج ناصر، مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري 1912 – 1916، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2004 – 2005.
- بلحة عبد القادر، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1907-1945)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016.
- بن حمودة مراد، النخب التقليدية في الجزائر ودورها السياسي والاجتماعي (1830ـ 1919م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدس بلعباس، (2018ـ - 2019).
- بن الشيخ حكيم، دور الأمير خالد في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1912 – 1936)، أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، الجزائر، 2001 – 2002.
- بن عدّة عبد المجيد، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925 – 1954، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005.
- سيدي صالح حياة، اللجان البرلمانية الفرنسية وقضايا الجزائريين 1871- 1895، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2010- 2011.
- عزة الحسين، التعليم الأهلي الفرنسي في الجزائر (1850- 1962)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف قدادرة شايب، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2019- 2020.
- مختاري الطيب، لجان التحقيق الاستعماري في الجزائر وردود الفعل الوطني اتجاهها 1833-1891، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2015- 2016.

- باللغة الأجنبية:

- Ageron, Charles Robert, Les Algériens muslmans et la France (1871-1919) Paris,1968.
- ……., histoire de L'Algérie contemporaine, Paris, PUF,1968.
- ……., De L'Algérie à l'Algérie algérienne, Ed, ENAG, Alger, 2010.
-……., Genèse de l'Algérie Algérienne, EDIF, Paris, 2000.
- ……., le mouvement jeune Algériens de 1900 – 1923, bulletin de la societé moderne , n°2, 1962.
- AH, Dupuy ,Les impots Indigenes en Algerie ,Alger, Imprimerie Gojosso,1910.

- A. Messiny : les statuts des indigènes Algériens, imprimerie libraire militaire, paris, 1913.
- Armand Colin, discours et opinions de l'administration colonial en Algérie, T3, Paris, 1885.
- Baron Pichon, Alger sous la domination Française, Imprimerie de J.Dibot Ainé, Paris, 1833.
- Belkacem Recham, les musulmans Algeriens dans l'armée Française (1919 – 1945),Paris, 1996.
- Bernard Augustin, L'Afrique du Nord pendant la guerre, Presses Universitaires de France, Paris, 1927.
- Chevallier Jacques, Nous Algériens, Ancien maire d'Alger, calman- lévy, 1958.
- Colonna, Fanny, Instituteurs Algériens 1883 – 1939, OPU, Alger, 1975.
- Elisabeth Leroux, Le Socle commun de connaissances et de compétences perceptions d'acteurs du système éducative Français sur ce dispositif, thèse master de recherche en sciences de l'éducation, université de Rouen, 2008.
- Ferhat Abbas, autopsie d' une guerre, édition Garnier, Paris, 1930
- Fromage Julien, L'Algérie vivra-t- elle ? ou le projet Blum- viollette au temps du Front populaire, mémoire de fin d' études, Bruno Benoit, Institut d'Etudes politiques de Lyon, université lumière lyon II , juin 2003.
- Georges Yver, Si Hamdan Ben Othman Khodja, Revue Africaine, O.P.U, N° 57, 1913.
- Hachemi Djiar, L' Algerie, Histoire sans tabous des pistes pour l'avenire, T.1, Ed. ANEP, Alger, 2012.
- Jules Ferry, le Government de l' Algerie, Imprimerie Armandcolin, Paris, 1982.
- L' écho d' Alger, n° du 28 Octobre 1919. Voire aussi: Le républicain Constantine, n° du 13 Avril 1919.
- Louis Fiaux, Un malfaiteur public, Jules Ferry, ed. Librairie international Achille Le Roy. Paris, 1886.
- Mahfoud Kaddache, L'Algérie dans l'histoire, T.5, entreprise national du livre, Alger, 1989.
- Maurice Reclus, Jules Ferry 1832- 1893, Ernst F, Paris, 1947.
- Meynier G, Koulakssis A, l'Emir Khaled (premier Zaim), Edition l'Harmattan, Paris, 1987.
- Peyronnet, R, Livre D'Or Des Officiers Des Affaires Indigènes, T2, Notice et Biographies, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930.
- Robert Laffont, L'Algérie et la France, Paris 2009.
- Stora Benjamin, Messali Hadj (1898- 1974) pionnier du Nationalisme Algérien (1898- 1974), Ed. L'Hrmattan, Paris.
- Victor Spilman, l'Emir Khaled (son action politique et sociale en Algérie) de 1920 – 1923, un aspect de la question Indigène Algérien, édition de trait d'union, Alger, 1938

فهرس المحتوى

الرقم	العنوان	الصفحة
01	**التعريف بالوحدة والمادة**	2
02	**تقديم**	5 - 3
03	**المحور 01**: مظاهر النشاط السياسي بالجزائر خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي.	13 - 6
04	**المحور 02**: أفول المقاومات الشعبية المسلحة وتنامي سياسة التسلط الاستعماري في النصف الثاني من القرن 19م.	20 - 14
05	**المحور 03**: ردود الفعل الجزائرية تجاه سياسة التعسف الاستعماري ولجنة التقصي البرلمانية.	39 - 21
06	**المحور04**: بوادر يقظة فكرية في الجزائر مطلع القرن العشرين (حركية صحفية وجمعوية)	47 - 40
07	**المحور05**: بروز نخبة جزائرية أسست لقاعدة الوعي السياسي.	63 –48
08	**المحور06**: ظهور حركة مطلبية (حركة الشبان الجزائريين).	68 -64
09	**المحور07**: التجنيد الإجباري وآثاره على الجزائريين.	77 -69
10	**المحور08**: حركة الأمير خالد وملامح تشكل التيار الاستقلالي.	85 -78
11	**المحور09**: تشكّل تيارات الحركة الوطنية ومحاولات التكتل وتوحيد جهودها (المؤتمر الإسلامي).	97 - 86
12	**خاتمة.**	99 - 98
13	**قائمة المصادر والمراجع المعتمدة**	108-100